روايات رومانسية عالمية

عبير

فلورا كيد

رمال في الأصابع

مكتبة زهران

روايات رومانسية عالمية
عبير

رمال في الأصابع

يعيش
الانسان حياته. يتساءل اهو
مسير ام مخير؟ كالسفينة تتلاعب بأشرعتها
رياح الاقدار. ديليا الجميلة ضرب لها القدر موعدا
مع الحب اعتقدت ان سعادتها ستدوم . ولم تكن تعلم ان
عذابها سيكون طويلا ومريرا. وسيتركها حبيبها الدكتور الثرى
ادموند بعد اشهر من زواجهما ليسافر فى بعثه طبية بحثا عن
الامراض الاستوائية. الا ان يد القدر تدخلت مرة ثانية لتسقط
الطائرة فى ادغال البرازيل قبل ان تخبره ديليا بأنها حامل .. ترى
هل تتدخل الاقدار من جديد لتجمع بين القلبين صدفه كما فعلت
فى السابق؟ وهل تقبل ديليا الزواج من بيتر صديق زوجها الذى
سبب فراقهما. ام تبحث عن ادموند فى مناطق منعزله
وبدائية تقطنها قبائل متوحشة معرضه حياتها
للخطر والمرض؟

مكتبة خيزران
جمهورية مصر العربية - القاهرة
٤٥ شارع الشيخ محمد عبده - خلف الجامع الأزهر
ت [illegible] - موبايل [illegible]

العنوان الأصلي لهذه الرواية بالانكليزية

NIGHT OF the YELLOW MOON

١ ـ فراق الاصابع

اقتربت السيارة السبور الخضراء الصغيرة من المنزل الريفي، وقال براين كولينز وهو يقف بها خلف سيارة بيضاء جاغوار.

«يبدو أن خالتك وعمك لديها زائره».

فردّت ديليا الجالسة في المقعد الخلفي:

«ربما يكون أحد من الجامعة. أو ربما يكون أحد طلبة العم روي. لقد سمعته يقول إن أحدهم يقوم بزيارة في الوقت الحاضر لاحدى الضواحي القريبة، وأنه قد يأتي للزيارة في عطلة نهاية الأسبوع».

والتقطت ديليا مضرب التنس الخاص بها وحقيبتها الرياضية، ونزلت من السيارة وهي تقول:

«شكراً يا براين لتوصيلي بالسيارة».

وسألتها سو مارتن الجالسة في المقعد الأمامي الى جانب براين:

«ألن نراك في المساء؟ سنذهب جميعاً الى أحد الملاهي الذي افتتح حديثاً، وأعتقد أنه رائع. هل ترغبين في الذهاب معنا؟»

وقفت ديليا خارج السيارة تنظر الى براين و سو وقد بدا عليها التردد. انها حقاً ترغب في الذهاب معهما، ولكنها تشعر بالحرج لأنها الفتاة الوحيدة في المجموعة التي تخرج بدون رفيق.

وردّت ديليا قائلة وهي تبتسم:

«شكراً للدعوة، ولكنني أعتقد أنه من الأفضل البقاء في المنزل للترحيب بالزائره».

فقالت سو تستحثها الذهاب معها:

«تعالي معنا. فربما يكون هذا الزائر رجلاً مسناً جاء ليقضي عطلة نهاية الأسبوع مع العم روي، أو ربما كان متزوجاً ولديه أطفال وستشعرين بالملل وأنت تجلسين معه».

فأجابت ديليا ضاحكة:

«سأجرّب حظي... في أي حال سأراكما الشهر القادم عندما أحضر لقضاء أجازتي».

وانطلقت السيارة، ووقفت ديليا تراقبها وهي تبتعد وعلى وجهها ابتسامة. ثم اتجهت الى الباب الأمامي للمنزل وقد تدلّت حقيبتها الرياضية من كتفها.

كانت ديليا ترتدي زياً قصيراً للتنس أظهر رشاقتها ودقّة تكوينها. وكان شعرها البني الداكن يلمع تحت أشعة الشمس وهو ينسدل على كتفيها.

وسمعت ديليا صوت خالتها وهي تتحدث مع أحد الأشخاص في البهو، ففضلت التوجّه اليها قبل الذهاب الى غرفتها.

اعتادت ديليا على حضور أصدقاء خالتها مارشا وزوجها العم روي لقضاء عطلة نهاية الأسبوع معها.

وكان معظمهم من أساتذة الجامعة الواقعة بالقرب منهم، حيث كان العم روي يعمل كأستاذ لعلم وظائف الأعضاء في كلية الطب، وتعمل زوجته مارشا مدرّسة لعلم الاجتماع في قسم العلوم الاجتماعية.

دفعت ديليا باب البهو برفق، ونظرت الى الداخل ثم تسمرت في مكانها وهي تحملق في الزائر الجالس على الأريكة.

كان يبدو في الثلاثينات من عمره، يرتدي سروالاً وقميصاً من اللون الأزرق الداكن، وقد فتح القميص من الأمام الى منتصف صدره تقريباً. وبدا وجهه نحيفاً وحليقاً لوحّته الشمس ليصطبغ باللون البرونزي الجذاب، وبدت جبهته عريضة ووجنتاه بارزتين. أما أنفه فكان طويلاً ومستقيماً.

كانت مارشا تجلس في مواجهته وهي تتحدث اليه في حماس. والعم

روي يجلس في مقعده المعتاد، يهز رأسه بين آونة وأخرى مستمعاً الى حديث زوجته.

أما الضيف فلم يبد عليه أنه ينصت الى حديث مارشا وظهر الملل واضحاً على وجهه وهو ينظر الى الكأس التي يمسك بها. ووجهت اليه مارشا أحد الأسئلة، فلم يرد الضيف فوراً، بل صمت قليلاً ثم نظر الى أعلى.

ورأت ديليا عينيه الزرقاوين تبرقان تحت رموشه الكثيفة، وكتمت ضحكة كادت تفلت منها، فكان من الواضح انه لم يسمع حتى السؤال الذي وجّه اليه!

وبدا عليه الارتباك للحظة، ولكن سرعان ما ارتسمت ابتسامة على شفتيه فبدا وجهه جذاباً. وشعرت ديليا بما يشبه الدوار وهي تنظر اليه. وقال الرجل موجهاً كلامه الى مارشا في صوت عميق هادىء:

«من الطبيعي أنني أتفق معك يا سيدة هالتون، ان الغابة ليست مكاناً مناسباً لفتاة اعتادت الحياة السهلة».

وضحك روي هالتون بصوت عال وهو يقول:

«ما أبرعك يا ادموند. كنت أعتقد دائماً أنك لم تختر المهنة المناسبة لك. وأنك تصلح لأن تكون ديبلوماسياً وليس طبيباً».

استمرت مارشا في حديثها، ورفع الرجل كأسه الى فمه ولكنه انتبه لوجود ديليا داخل الغرفة، فأنزل يده بالكأس، والتفت اليها. تلاحقت انفاسها عندما التقت نظراتها، شعرت كأن قوة مغناطيسية تجذبها اليه.

وقام روي وهو يقول:

«أهلاً... ها قد حضرت أخيراً يا عزيزتي».

ونهض الضيف، ووقف في تأدب والعم روي يقدمه الى ديليا التي رحّبت به، وقد تولاّها شعور مفاجىء بالخجل، واتجهت حيث جلست الى جانب مارشا.

قال روي موجهاً حديثه الى ديليا:

« ادموند تالبوت كان أبرز طلبتي منذ عدة سنين».

ونهضت مارشا عن مقعدها وهي تسأله

«هل تريد كأساً أخرى يا ادموند؟»

واتجهت الى ادموند حيث أخذت كأسه الفارغة، ثم عادت تحمل اليه كأساً أخرى. جلست الى جواره على الأريكة ومالت الى الأمام ناحيته تناوله الكأس فكشف الثوب عن جزء كبير من صدرها.

تجهّم وجه ديليا، لأنها تفهم مارشا جيداً، وتعرف أنها تحب التودّد واغراء الرجال، وخاصة الشباب منهم.

كانت مارشا تجد الحياة مع زوجها الذي يكبرها بحوالى عشرين عاماً مملة، ولذلك فأنها تعمد بين أونة وأخرى إلى إنعاش حياتها باقامة علاقات مع رجال آخرين.

ولم يخامر ديليا أدنى شك في أن خالتها كانت ترى في ادموند شخصاً مناسباً.

وبينما كان يدور الحديث حول الأمراض الاستوائية التي يهتم بها ادموند، التفت الى مارشا يسألها فجأة:

«هل يمكن السباحة في أمان على الشاطىء القريب من منزلكم؟»

فردّت مارشا مبتسمة:

«بالطبع. هل تحب السباحة يا ادموند؟»

«نعم، الى درجة كبيرة وخاصة في البحر. هل تسمحين لي بالذهاب الى الشاطىء الآن؟»

وردّ روي بحماس:

«بالطبع يا ادموند يمكنك ذلك، واعتبر نفسك في منزلك. ديليا ستصحبك الى الشاطىء، الذي لا يبعد كثيراً عن هنا».

وقالت مارشا وهي تقف:

«اعتقد أنك تريد أن تبدّل ثيابك. تعال معي لأريك الغرفة، وستنتظرك ديليا عند الباب الأمامي».

وتبع ادموند مارشا، وصعدت ديليا الى غرفتها لترتدي ملابس الاستحمام في دقائق أسرعت بعدها الى أسفل. وفي طريقها الى البهو، مرّت بغرفة الاستقبال فسمعت صوت خالتها مارشا تتحدث مع ادموند. وشعرت ديليا بضيق في دخول مارشا الى الغرفة مع الضيف.

انتظرت ديليا خروج ادموند ما يقرب من عشرين دقيقة، ثم سارت معه في الطريق الضيق الذي تحفّ به الصخور باتجاه الشاطىء.

وما أن وصلا حتى ألقى ادموند بمنشفته فوق الرمال، وخلع ملابسه بدون الاهتمام بوجودها معه، وانطلق ليلقي بنفسه في المياه.

تبعته ديليا وهي تشعر بالاستياء، لأنه لم ينتظرها، وكان ادموند سباحاً ماهراً. حاولت ديليا مجاراته في السباحة لتثبت له أنها ليست أقل منه مهارة، ولكنه استمر في تجاهل وجودها الى جانبه، فخرجت من المياه، وجلست على الرمال تراقبه.

وبعد فترة خرج ادموند من المياه، وألقى بنفسه فوق منشفته أمامها، وقال وهو ينفض المياه عن شعره:

«أشعر بتحسن الآن. خالتك قدّمت لي شراباً قوياً وأنا غير معتاد على تناول هذا النوع. وبدأت بالفعل أفقد اتزاني وأنا أجلس في المنزل».

ثم انقلب ادموند لينام على بطنه، ورفع وجهه ليسنده الى ذراعيه المعقودتين، ثم نظر اليها قائلاً:

«اذاً فأنت ابنة فرانك فينويك. أكاد لا أصدق ذلك».

فسألته باندهاش شديد:

«لماذا؟»

«لأنني لم أتصور أبداً أن فرانك يتزوج، فما بالك بأن يكون له اولاد».

«هل قابلته؟»

«نعم، حضرت عدداً من المحاضرات التي ألقاها منذ عشر سنوات، حول ضرورة حماية الشعوب البدائية، والقبائل التي تعيش في المناطق المتطرفة في أندونيسيا و جنوب أميريكا. وقد تأثرت بهذه المحاضرات الى درجة دفعتني للتخصص في الطب الاستوائي بعد تخرجي، حتى يمكنني مساعدة هذه الشعوب».

«وهل تمكنت بالفعل من زيارة هذه الشعوب؟»

«نعم. وقد رجعت لتوّي من أفريقيا. حيث كنت أعمل لحساب احدى منظمات الصحة العالمية».

«ومتى تعود الى هناك مرة أخرى؟»

«اذا طلب مني ذلك، او عندما أشعر بالرغبة في العودة. أما الآن فكل ما أريده هو قضاء فترة طيبة حيث أقيم في لندن».

ثم نظر اليها ادموند نظرة ذات معنى، وهو يضيف:

«وأفضل أن أقضي مثل هذا الوقت مع فتاة جذابة. ما رأيك في ذلك؟»

ودون أن ينتظر ردها، انقلب ادموند من جديد ليستلقي على ظهره. وكان الشاطىء في ذلك الوقت مهجوراً تقريباً. ولم يكن يسمع سوى صوت ارتطام الأمواج الخفيف بالشاطىء، وأصوات طيور النورس.

واصطبغ وجه ديليا بالدماء، وهي تستمع الى ما قاله ادموند. وأخذت تعبث بالرمال وهي لا تدري بماذا تجيبه. كانت ترغب بالفعل في أن تكون هذه الفتاة الجذابة التي يرغب في صحبتها، ولكنها كانت تشعر بخجل. ولم تكن قد مرّت بتجارب مماثلة من قبل، ففضلت ألا تظهر لهفتها على قبول دعوته. فتجاهلت اقتراحه وسألته:

«هل تعتقد أن خالتي مارشا جذابة؟»

نظرت ديليا اليه بطرف عينها تتفحص صدره العاري وقد التصقت به بعض حبات الرمل، وشعرت لأول مرة بأن حواسها تتيقظ.

أجابها ادموند بطريقة دبلوماسية:

«ان مارشا تبدو في مظهر رائع بالنسبة لعمرها».

فقالت ديليا:

«انها تبلغ الحادية والأربعين من عمرها تقريباً».

«هذا يعني أنها تكبرني بعشر سنوات. وأنت كم عمرك؟»

«انني أبلغ الواحدة والعشرين».

فقال ادموند بلهجة ساخرة:

«الحمد لله. أعتقدت أنك ما زلت تلميذة صغيرة في المدرسة».

فردّت ديليا في تهكم:

«ربما كنت تفضل من هنّ أكبر سناً».

كانت ديليا تدرك أنها تقوم بلعبة خطرة، ولكنها كانت تتوق الى معرفة ما حدث بين مارشا وادموند عندما صحبته الى غرفته.

وقال ادموند في صوت ضاحك وكأنه يجد الأمر مسلياً:

«أعترف أنه في بعض الأحيان تعوّض خبرة المرأة في ارضاء الرجل عن افتقارها الى الشباب».

«وهل أرضتك خالتي مارشا عندما صحبتك الى غرفتك؟ لقد سمعتها تتحدث معك داخل الغرفة».

ولم يرد ادموند على تساؤلها، ولكنها فوجئت به يعتدل أمامها. ثم أمسك وجهها بيديه، وأداره ناحيته، ونظر اليها وقد بدت نظرة تساؤل في عينيه الزرقاوين، وهو يقول:

«ما الذي تحاولين الوصول اليه؟»

وشعرت ديليا بدقات قلبها تتسارع، لكنها تماسكت وواجهت نظراته،

وقالت في لهجة حاولت أن تبدو باردة:

«انها معجبة بك. وأعتقد أنها تريد أن تقيم علاقة معك. ولست أول شاب تفعل معه ذلك، رأيتها تفعل ذلك من قبل. وقد قدّمت لك شراباً قوياً لتسلبك ارادتك ولتنفّذ لها رغباتها عندما صحبتك الى غرفتك».

فردّ ادموند في لهجة عنيفة جعلتها تتوقف عن الكلام:

«هذا يكفي!»

وأضاف في لهجة هادئة وهو يمر بأصابعه على وجنتها ثم شعرها المبتل:

«لم يحدث شيء بيني وبين خالتك عندما صحبتني الى الغرفة فأنا لست شاباً قليل الخبرة بأساليب النساء، او غير قادر على مقاومة اغراء امرأة تحاول الايقاع بي. انني أنصحك بألا تتمادي في هذه التخيلات حتى لا تجرّي على نفسك المتاعب. هل تشعرين بالغيرة يا قطتي الصغيرة؟»

فردّت ديليا في نبرة احتجاج:

«أنا لا اغار».

وحاولت الابتعاد عنه، ولكنها لم تتمكن فقد كان يمسك شعرها بقوة!

واستطرد ادموند يسألها:

«اذا كنت لا تشعرين بالغيرة كما تقولين. فلماذا اذاً تهتمين بما حدث بيني وبين مارشا؟»

«انني... انني لا أحب أن أراها تتصرف بهذه الطريقة أمام العم روي، فانه يعاملها معاملة حسنة».

فقال ادموند في تحد:

«هل أنت واثقة أنه السبب الحقيقي؟ أليس صحيحاً أنك لم تتحملي فكرة وجودها معي لأنك تريدين أن تكوني مكانها؟»

اجتاح الغضب ديليا لأنه اكتشف الحقيقة التي حاولت أن تخفيها وقالت:

«لا. ليس هذا صحيحاً. كم أنت مغرور لتعتقد ذلك»

وشعرت ديليا بأنه يسخر منها، فرفعت يدها لتصفعه على وجهه ولكنها لم تتمكن من ذلك، وعندما حاولت الابتعاد عنه صرخت من الألم لأنه كان ممسكاً بشعرها، وصاحت قائلة:

«دعني أذهب... أرجوك دعني أذهب».

«الآن وقد أمسكت بك، فلا أريد أن أتركك ايتها الحورية».

ثم اقترب منها وهو يهمس قائلاً:

«ان رائحة البحر تفوح منك».

«وأنت تفوح منك رائحة الشراب!»

فضحك ادموند واقترب بشفتيه من وجنتها، وهو يهمس قائلاً:

«ربما يكون ذلك، ولكنني أجدك أروع من أي شراب تقدمه إليّ مارشا»

ولمس وجنتها بشفتيه وهو يضمها بين ذراعيه بقوة.

حاولت ديليا التخلص منه وهي تحرّك رأسها بعيداً عنه، ولكن مقاومتها له أشعلت رغباته، فأمسك برأسها بقوة ودفعها الى الخلف لتستلقي على الرمال وهو يعانقها بعنف.

ووجدت ديليا نفسها تستكين لدفئه، فأغمضت عينيها ولم تعد تشعر بشيء من حولها.

وبدأت شفتاها ترتعشان، ومدّت يدها لتتخلل بأصابعها شعره المبتل، وأطراف كتفيه.

وشعرت به، يسترخي بين ذراعيها وهو يمر بشفتيه برقة على جلدها هامساً:

«انك جميلة».

ثم رفع رأسه لينظر في عينيها، وهو يضيف:

«وأنت رقيقة ولطيفة مثل نسيم الربيع. عيناك خضراوان وجميلتان فكيف يمكن لأي شخص أن ينظر الى مارشا في وجودك؟ والآن هل ألقاك مرة أخرى؟ هل ستحضرين الى لندن لرؤيتي؟»

شعرت دبليا بالسعادة تغمرها وهي تفكر في الرجل الجذاب الذي دخل حياتها. فقالت وهي تمر بأصابعها على شفتيه:

«انني أقيم في لندن حيث أعمل».

«حسناً. هذا يعني اننا سنلتقي كل يوم. أين تعملين؟»

«أعمل في احدى شركات النشر في مجلة الجغرافيا المصورة».

«وأين تقيمين؟»

«أقيم مع احدى صديقاتي في كنسنغتون».

«وهل تبعد كثيراً عن نايتس بريدج؟»

«لا. ليس كثيراً. ولكن لماذا؟»

«اقيم في شقة مفروشة لأحد أصدقائي في نايتس بريدج فهو يقضي عطلته لمدة ستة أسابيع في البحر المتوسط. أنا سعيد لأنها لا تبعد كثيراً عن مكان اقامتك. أليس لك أقارب غير مارشا؟»

«لا. فهي الشقيقة الصغرى لوالدتي التي توفيت وأنا في الثانية عشرة من عمري. ولما كان أبي يتغيب كثيراً، فقد أرسلني الى احدى المدارس الداخلية القريبة من هنا. أحضر الى منزل خالتي دائماً في الأجازات. لا بد أنك سمعت بما حدث لوالدي الذي قتل في حادث سقوط طائرة في أثيوبيا منذ خمس سنوات».

«نعم. قرأت عن الحادث».

«وأنت. هل لديك عائلة؟»

فأجاب ادموند في تحفظ شديد:

«مات أبي منذ بضع سنوات. أما والدتي فتزوجت بعد وفاته وتقيم في ايطاليا».

«أليست لك أخوات أو اخوة».

«لا. ولكن يوجد العشرات من الأقارب».

ثم قبلها في أنفها، وهو يقول:

«هل يمكنني اصطحابك في سيارتي الى لندن غداً. اريد أن نتقابل بعيداً عن

خالتك التي تقف الآن تراقبنا من خلال المنظار المكبر؟»

وانتفضت دبليا واقفة، والتفتت ناحية المنزل، فلمحت خالتها تقف في احدى النوافذ العلوية وقد وضعت امام عينيها منظار العم روي المكبر.

وفي المساء، اتجهت دبليا الى فراشها وهي تشعر أنها تعيش في حلم جميل. وبينما كانت تستعد للنوم، دخلت مارشا الى الغرفة، وقالت:

«يبدو أن الأمور تسير على ما يرام بينك وبين ادموند. وكل ما أرجوه ألاّ يغرك اهتمامه المفاجيء بك وتندفعي وراء عواطفك».

«هل تظنين ذلك حقاً؟»

فتقدمت مارشا وجلست على حافة الفراش قائلة:

«حاولت منذ وفاة والدتك أن أعوضك عنها وأرشدك الى ما فيه مصلحتك. ولكن ربما لم أكن صريحة معك بالنسبة لبعض المسائل».

فقالت دبليا ضاحكة:

«اذا كنت تقصدين أنك لم تحدثيني عن حقائق الحياة، فان هذا صحيح، ولكن هذا لا يهم فأنني أعرف هذه الحقائق ويمكنني المحافظة على نفسي».

فتنهدت مارشا وهي تقول:

«أعرف ذلك يا عزيزتي. ولكنك ما زلت تجهلين الناس. ويمكنك ارتكاب خطأ فظيع مع هذا الطبيب. انه ليس كما يبدو لك. فهو يخفي تحت هذا المظهر الداقيء برودة وخشونة».

وشعرت دبليا بالغضب فاندفعت قائلة:

«تقولين هذا فقط لأنك لم تتمكني من التأثير عليه. وليس معنى فشلك انه شخص سيء!»

ولمع الغضب في عيني مارشا وهي تقول في لهجة باردة:

«لا أعرف عما تتحدثين؟ انني أحاول أن أوضح لك أن ادموند من الطراز الذي يفضل عمله على أية فتاة في العالم. كما انه يفضل الحياة البدائية

والذهاب الى الأحراش والعيش مع القبائل، وأنا لا أعتقد أنك تريدين التورط مع رجل من هذا الطراز».

فقالت ديليا في لهجة حالمة:

«أنا لا يهمني من يكون ادموند او ماذا يفعل. المهم أنه يعجبني. وغداً سأذهب الى لندن معه حيث يمكننا أن نلتقي كل يوم».

وانتفضت مارشا واقفة، واتجهت نحو الباب، ثم التفتت الى ديليا وقالت في حدة:

«انك غبية. مثل والدتك تماماً. وستندمين يوماً لأنك لم تستمعي الى نصيحتي. وعندما يحدث ذلك، أرجو ألا تسرعي بالحضور اليّ طلباً للمساعدة».

وتجاهلت ديليا تحذيرات خالتها. فقد كانت مقتنعة بأنها هاجمت ادموند لأنه لم يخضع لرغباتها. وبعد عودتها الى لندن، كانت تقضي كل أوقات فراغها مع ادموند وكان قد انقضى أسبوع، عندما كانت تجلس الى جانبه في شقة صديقه حيث اعترفت له بأنها تحبه.

فهمس في أذنها:

«اذاً ستقضين الليل معي هنا».

وعلى الرغم من أن ديليا كانت تتلهف الى ذلك بكل ذرة في كيانها الا أنها قالت:

«انني... انني... لا أستطيع».

فسألها ادموند وهو يقبلها في عنقها:

«ولكن...لماذا؟»

«لا أدري... ان شيئاً داخلي يمنعني من ذلك».

فانتفض ادموند واقفاً، واتجه الى النافذة وهو يقول في غضب:

«اذاً كنت تكذبين عندما اعترفت لي بحبك».

فصاحت ديليا قائلة:

«لا، ليس هذا صحيحاً. ليس صحيحاً. انني أحبك. ولكنني لا أستطيع البقاء معك. لا أستطيع العيش معك إلا... إلا».

فقاطعها ادموند قائلاً:

«الا بعد أن تضعي خاتماً حول اصبعك، ويصبح من حقك استخدام اسمي. أليس كذلك؟»

ثم التفت اليها، فهزت رأسها بالايجاب، فاستطرد يقول:

«كنت أعتقد أنك مختلفة عن الأخريات».

وشعرت ديليا بأنه مستاء منها. ولما لم يكن بمقدورها أن تلبي طلبه، وقفت واتجهت الى حيث وضعت حقيبتها فأخذتها ثم قالت وهي تتجه الى الباب:

«اذاً...اذا... كنت تحبني فعلاً كما أحبك، كان يجب أن تطلب مني الزواج أولاً».

ولكن ادموند سبقها الى الباب، واستند اليه بظهره، وهو يسألها في هدوء:

«الى أين تذهبين؟»

فانفجرت في البكاء، وهي تقول:

«لا أدري!»

فتقدم نحوها، وأمسك بوجهها بين يديه، وأخذ ينظر اليها ملياً ثم ابتسم وهو يقول:

«حسناً... سأفعل ما تريدين يا حبيبتي. سنتزوج في أسرع وقت وفي هدوء تام، لأنني أريدك أن تعيشي معي هنا».

فاندفعت ديليا بين أحضانه وظلا متلاصقين لفترة كطفلين صغيرين خائفين من الظلام ثم همس ادموند وهو يقبلها في شعرها:

«لا أدري ما حدث لي. ان حبي لك وحاجتي الى وجودك قد أفقداني صوابي، ولم أعد أعرف ما أفعله. لقد وقفت بيني وبين عقلي».

وعجبت ديليا بينها وبين نفسها لهذه الجملة الأخيرة، ولكنها لم تحاول الاستفسار منه عما يعني بذلك. فقد ألهتها السعادة التي كانت تشعر بها في تلك

اللحظة عن التفكير في أي شيء آخر.

وتمّ الزواج في هدوء... وتركت ديليا صديقتها لتعيش مع ادموند في شقة صديقه الى أن يتمكنا من العثور على شقة خاصة بهما. ومضى أسبوعان على زواجهما، كانت ديليا تشعرخلالهما بسعادة غامرة، فقد أثبتت لها الأيام أن ادموند هو أمير أحلامها، وقد منحها من الحب ما كانت تتوق اليه.

وكان متفهماً تماماً لرغباتها ومشاعرها التي كانت تمنحها له بسخاء. ولم يكن بدوره يحاول أن يأخذ من أحاسيسها أكثر مما كانت ترغب في منحه له.

وفي اليوم الذي كان مقرراً أن يعود فيه بيتر مانسون الى شقته، توجه ادموند الى جامعة اكسفورد لحضور اجتماع لاحدى منظمات الصحة.

وبينما كانت ديليا تحزم الأمتعة استعداداً للرحيل سمعت الباب يفتح، فاعتقدت أنه ادموند ولكنها فوجئت بشاب في مثل عمر زوجها، طويل القامة أسود الشعر، لطيف المظهر. ودهش بدوره لرؤية ديليا التي أسرعت تشرح له سبب وجودها في شقته.

وفغر الشاب فاه دهشة، ثم صاح قائلاً:

« ادموند يتزوج! لا ليس هذا معقولاً. انني لا أصدق ذلك»

وبعد أن أفاق من دهشته، أمسك بشاربه يعبث به وقد بدا عليه التفكير، ثم قال:

«تعالي الآن... لا داعي لأن تكذبي علي، فانني أعرف ادموند جيداً، وأعرف انه لا يفكّر في الزواج على الاطلاق. في أي حال لست مستاء لوجودك معه في شقتي، كنت أتوقع شيئاً من هذا القبيل».

فقاطعته ديليا في احتجاج:

«ولكننا لسنا... كما تعتقد».

ثم رفعت يدها اليسرى لترى خاتم الزواج يلمع في اصبعها وهي تقول:

«هل اقتنعت الآن بصدق كلامي؟»

وظهرت على بيتر الدهشة الشديدة، وأخذ يعبث بشعره وهو ينظر اليها بعينين بدت فيهما الحيرة، ثم قال بصوت خافت:

«يا إلهي!»

ثم جلس فجأة على أحد المقاعد، وهو يضيف:

«اعذريني. ولكنني مندهش للغاية. فان ادموند لا يهتم بشيء في الحياة سوى بالطب الاستوائي. كم مر على زواجكما؟»

«ستة أسابيع».

فانتفض بيتر واقفاً، وهو يقول:

«يا إلهي...»

ثم وضع يديه في جيبيه، وأخذ يسير في الغرفة جيئة وذهاباً، وهو يقول:

«لن يدهشني أن أعلم أنك لم تعرفي عنه شيئاً على الاطلاق».

فرفعت ديليا وجهها اليه فيما يشبه التحدي وهي تقول:

«انني أعرف عنه كل ما يهمني معرفته، أعرف عمره وكل ما يجب أن يفعله. ماذا أريد أكثر من ذلك؟ انني أحبه... وهذا يكفيني».

«أنت عاطفية. هيه! اذاً لم يخبرك ادموند».

ثم توقف بيتر عن الحديث، وبدأ يسير في الغرفة من جديد. فسألته ديليا في قلق بالغ:

«لم يخبرني بماذا؟»

«لم يخبرك بأنه ورث عن أبيه منذ بضع سنوات»

«حسناً. انني أعرف أن لديه ما يكفي من المال. على الرغم من أنه لا يبدو عليه أنه يمتلك شيئاً بخلاف سيارته الجاغوار».

وضحك بيتر في سخرية، وهو يقول:

«لديه ما يكفي من المال! انه يمتلك مئات الآلاف من الجنيهات جمعت كلها من صناعة الحلوى. ألم تسمعي من قبل عن حلوى تالبوت؟»

وكانت ديليا قد سمعت بهذه الحلوى، ولطالما ابتاعت منها الكثير، ولكنها لم تكن تعتقد أبداً أن هناك ارتباطاً بين اسم تالبوت وزوجها ادموند تالبوت. فقالت بطريقة طفولية:

«ولكن ادموند لا يبدو عليه أنه صانع حلوى».

«بالطبع لا. ليست له أي صلة بهذا العمل الذي يمتلكه كلية الآن بعض أقاربه. انه لم يهتم بمثل هذا العمل طوال حياته مما أحزن والده. فقد كان ادموند يرغب دائماً في ان يكون طبيباً ليساعد المحتاجين، حتى انه حاول ان يغري والده بأن يترك ثروته كلها لاحدى المنظمات الخيرية بدلاً من أن يتركها له. ولكن والده ماثيو تالبوت رفض ذلك. وبعد وفاته، أخذ ادموند ينفق هذه الثروة على دراساته في الطب الاستوائي في الجامعة وعلى تمويل رحلاته العديدة الى مناطق الأدغال».

وتوقف بيتر عن الحديث قليلاً وبدا عليه وكأنه يفكر، ثم سألها:

«ماذا ستفعلين عندما يذهب ادموند في رحلاته الى بعض المناطق المنعزلة او الموبوءة بالملاريا في أفريقيا او البرازيل؟ ألم تفكري في ذلك؟»

«سأذهب معه بالطبع».

فنظر اليها بيتر في شفقة، وهو يقول:

«انني أشك في ذلك. لأنني أعرف ادموند جيداً، وأعرف أنه يعمل طبقاً للمثل القائل من يسافر وحيداً يسافر سريعاً».

«لقد كنت مخطئاً عندما اعتقدت من قبل انه لن يتزوج أبداً، وربما تكون مخطئاً هذه المرة أيضاً!»

فتنهّد بيتر قائلاً:

«لذلك أشعر بالقلق عليك».

ثم نظر اليها وأضاف:

«أستطيع أن أدرك السبب الذي دفعه للزواج منك وهو يقيم في لندن. ولكن

اقامته هنا لن تدوم، كما انه ليس من الطراز الذي يصلح كرجل بيت».

يبدو أن بيتر لاحظ تجهم وجه ديليا الذي بدا عليه القلق، فهز رأسه وهو يعتذر لها قائلاً:

«أسف يا ديليا لأنني أقول لك هذه الأشياء في الوقت الذي يجب أن احتفل بزواجك».

حاولت ديليا أن تنسى ما قاله بيتر ولكنها كانت تشعر بالقلق. وسرعان ما زال قلقها بعد أن انتقلا الى الشقة الجديدة. وبدأت تشعر من جديد بسعادة الحب بين أحضان ادموند.

ومضت ثلاثة أشهر وهما ينعمان معاً بالسعادة.

واستمرت ديليا تمارس عملها في المجلة الجغرافية، أما ادموند كان مشغولاً في أبحاثه في جامعة اكسفورد وقد لاحظت ديليا خلال هذه الفترة أنه على الرغم من أن ادموند كان يحب الحياة البسيطة، الاّ أنه كان ينفق عليها بسخاء. كما لاحظت أنه يشعر بحساسية تجاه موضوع الثروة التي ورثها عن والده والتي تنازل عن قدر كبير منها لأعمال الخير.

وعندما سألته ديليا في احدى المرات لماذا لم يخبرها بأن والده كان يمتلك مصانع للحلوى، أجابها بأنه كان يريدها أن تتزوجه لشخصه وليس طمعاً في ثروته.

عرفت منه أنه كان على وشك الزواج من قبل بفتاة، ولكنه اكتشف في اللحظة الأخيرة أنها تسعى وراء ماله.

وعندما سألته ديليا ان كان قد أحب تلك الفتاة، أجابها بأنه لم يحبها بالقدر الذي يشعر به نحوها هي.

وذات يوم عاد ادموند الى المنزل ليخبر ديليا بأنه سيذهب ضمن بعثة للصليب الأحمر الى احدى المناطق التي تعرّضت لزلزال في أندونيسيا حيث يعاني الآلاف من السكان من المرض والجوع.

فسألته ديليا ان كانت تستطيع الذهاب معه، ولكنه أجابها بالنفي. ولما سألته عن السبب، أجابها قائلاً:

«لعدة أسباب. أولاً لأن الاطباء والممرضات والعاملين في الخدمة الاجتماعية هم وحدهم الذين يمكنهم الذهاب. وثانياً لأنني لا أريدك أن تذهبي الى مثل هذه الأماكن وسأكون أكثر سعادة وأنت تقيمين هنا في أمان من دون متاعب. تنتظرين عودتي اليك».

ولم يكن أمام ديليا سوى الاذعان لرغبته. وسافر ادموند ، وبدأت تشعر بالوحدة. ولكن بيتر لم يتركها، فقد كان يتردد عليها دائماً، ويدعوها للخروج معه في بعض الأحيان قائلاً ان ادموند طلب منه العناية بها أثناء غيابه.

ومضت الأيام طويلة، وانقضت سبعة أشهر على غياب ادموند. وأخيراً عاد وقد ازداد نحولاً. سعدت ديليا بعودته، وبدا عليه أنه لا يريد التحدث كثيراً عن رحلته وأنه مصمّم على التمتع بكل دقيقة من وقته مع زوجته وبين أحضانها.

فذهب الى رئيسها في العمل، واستأذنه في منحها أجازة لمدة أسبوعين تقضيها معه.

ومضت حوالى ستة أسابيع على عودة ادموند الى لندن ثم عاد مرة ليبلغها من جديد بأنه سيسافر ضمن بعثة أخرى الى وسط أميركا حيث تعرّضت منطقة أدغال لزلزال مدمّر.

وطلبت منه ديليا من جديد أن تذهب معه، ولكنه كرّر رفضه، وحدثت بينهما لأول مرة منذ زواجهما مشادة عنيفة. وعلى الرغم من أنهما حاولا التغلب على هذا الموقف، الا أن موقفه حيالها كان يتسم بالبرود عندما سافر في مهمته.

وخلال تغيبه هذه المرة، قلقت ديليا مراراً من ألا يعود اليها ادموند. وعاد بيتر يتردد عليها. ولكم شكرته في أعماقها، ولكنها كانت تفتقد ادموند بشدة. وكانت لا تتوقع عودته قبل شهر.

وفي عطلة نهاية الأسبوع، اقترح بيتر أن يصحبها الى الشاطىء. وفي المساء، وكان الوقت ما زال مبكراً، عادا الى منزلها ودخل معها بيتر الى الشقة كما تعود أن يفعل بعض الأحيان حيث تقدم له ديليا كأساً.

جلس بيتر على الأريكة، وجلست ديليا الى جانبه فألتفت اليها بيتر فجأة وهو يقول:

«في مثل هذه الأوقات، أتمنى لو أنك لم تكوني زوجة لادموند».

ولم تدهش ديليا لقول بيتر فقد لاحظت اهتمامه الزائد بها في الفترة الأخيرة. وخطر لها أكثر من مرة أن ترفض دعوته الى الخروج. وفكّرت في هذه اللحظة أن تقوم من جانبه. ولكنها ما كادت تهم بالوقوف، حتى أمسك بيدها قائلاً:

«تعرفين أنني وقعت في المحظور يا عزيزتي. أحببتك وانت زوجة أعز صديق لي. وسأنتهز فرصة غيابه، لأنني لم أعد احتمل الابتعاد عنك».

فهمست ديليا وهي تحاول ابعاده عنها:

«لا يا بيتر... لا أرجوك».

ولكنه لم يستمع اليها، وأحاطها بذراعيه فأحست بأنفاسه المضطربة. وأشاحت بوجهها بعيداً. وفي هذه اللحظة لمحت ديليا شبح شخص يقف بالباب المؤدي الى غرفة النوم. وشهقت وهي تحملق في اتجاه الباب فأختفى الشبح. ولم تدر ديليا اذا كان ما رأته حقيقة أم أنه من نسج خيالها. وعندما سمعها بيتر تشهق ابتعد عنها قليلاً وهو يعتذر قائلاً:

«أنا آسف يا ديليا، لقد تماديت معك. ولكنك جميلة جداً وحزينة وفي حاجة الى من يؤنس وحدتك. فهل تسمحين لي بالبقاء معك؟»

«لا... أرجوك يا بيتر. أرجوك ألا تعود الى مثل هذا القول واذا حدث، فأنني لن أقابلك بعد ذلك أو أخرج معك... والآن، أرجوك أن تذهب».

ووقف بيتر وهو يقول:

«حسناً...سأذهب. ولكنني سأعود لرؤيتك. وفي أي حال هناك مثل يقول ان كل

شيء مباح في الحب والحرب، وأنا أحبك يا ديليا وأريدك».

نظرت ديليا في قلق الى الباب المؤدي الى غرفة النوم وقالت:

«أرجوك يا بيتر، لا فائدة من هذا الكلام لأنك تضيع وقتك. فأنا سيدة متزوجة».

فالتفت اليها قائلاً:

«هذه مشكلة يمكن التغلب عليها. ان زواجك من ادموند ليس زواجاً بمعنى الكلمة».

وقالت ديليا في صوت خائف:

«أرجوك يا بيتر أن تتوقف عن هذا الكلام، وأن تخرج الآن».

وفتحت الباب، فقال بيتر وهو يخرج:

«انك غبية يا ديليا لتظلي على اخلاصك لزوجك. انني أشك في أنه سيكون مثلك على هذه الدرجة من الاخلاص».

فردّت ديليا في اقتضاب:

«مع السلامة يا بيتر، وأشكرك على اصطحابي الى الشاطىء».

واغلقت ديليا الباب خلفه، وقد امتلأت نفسها بالشك من احتمال أن يكون ادموند غير مخلص.

وأسرعت متجهة الى غرفة النوم التي كان بابها مغلقاً. وفتحت الباب ببطء، وكانت الغرفة تسبح في الظلام.

ونظرت ديليا داخل الغرفة وسقط قلبها بين ضلوعها حين رأت شبح ادموند يقف أمام النافذة.

فهتفت باسمه وهي تضيء النور، فالتفت اليها وكان يرتدي روباً منزلياً قصيراً وبدا صدره عارياً وكذلك ساقاه.

ولمحت ديليا الشرر يتطاير من عينيه الزرقاوين. لكنه لم يتحرك من

مكانه وأدركت ديليا أنه رأى بيتر وهو يقبّلها، فوقفت في مكانها مترددة وهي لا تدري كيف تتصرف. ولم تندفع إليه لتحيطه بذراعيها وتقبّله كما اعتادت أن تفعل عند عودته اليها. وقالت تسأله في صوت لاهث:

«متى عدت من السفر؟»

فرد في برود:

«منذ ساعة تقريباً. ولقد أخذت حماماً لأنفض عن نفسي أقذار المكان الذي جئت منه. ولم أكن أعرف أنك عدت الى الشقة الا عندما سمعت صوت بيتر وأنا أغادر الحمام».

فتقدمت ديليا الى داخل الغرفة وهي تقول بعصبية:

«آسفة لأنني لم أكن بالمنزل. فأنا لم أكن أتوقع حضورك اليوم، ولذلك خرجت مع بيتر الى الشاطىء، حيث قضينا يوماً ممتعاً».

وقاطعها ادموند في خشونة:

«وهل ذهب الآن؟ أم اعتاد على قضاء الليل هنا بعد عودتكما من الخارج؟»

وشهقت ديليا وهي لا تكاد تصدق ما تسمعه، واندفعت لتقف أمام ادموند، فلمحت في عينيه غضباً مدمراً مما جعلها تشعر بالخوف، فقالت وهي تحاول التقاط أنفاسها:

«نعم. لقد ذهب».

ومدّت ديليا يدها لتلمس ذراعه في محاولة لتهدئته وقالت:

«أرجوك يا ادموند. لا تنفعل هكذا، وسأشرح لك الأمر. ان المسألة ليست كما تبادر الى ذهنك. ان هذا لم يحدث من قبل. ولا يعني ما رأيته شيئاً بالنسبة لي».

فقاطعها ادموند من جديد:

«وكيف لي أن أعرف ذلك. وكيف يمكنني أن أعرف ماذا تفعلين أثناء غيابي؟»

وتراجعت ديليا الى الخلف وهي لا تدري كيف تتعامل مع ادموند. الذي بدا غريباً تماماً عنها وهو في قمة انفعاله وقالت بصوت منخفض:

«انني لا أفعل شيئاً. أذهب الى عملي وأعود لأنتظرك هنا. أوه يا ادموند لو عرفت كم أشعر بالوحدة وأنت بعيد عني».

فرفع ادموند حاجبيه في سخرية وهو يقول:

«تشعرين بالوحدة! وهل تتوقعين أن أصدقك بعدما رأيته يحدث في بيتي!»

فردت ديليا في محاولة للدفاع عن نفسها:

«حسناً، انت طلبت منه أن يهتم بي أثناء غيابك».

فرد ادموند في مرارة:

«ان هناك اختلافاً كبيراً بين أن يعتني الانسان بشخص ما وبين أن يحاول امتلاكه!»

واندفعت ديليا تقول في غضب:

«انه لم يمتلكني. كيف يمكنك أن تقول ذلك؟ أنت تقول انك لا تعرف ماذا أفعل أثناء غيابك. حسناً أنا أيضاً أسألك نفس السؤال، اذ كيف لي أن أعرف ماذا تفعل وأنت تبعد عني آلاف الأميال. انني حتى لاأعرف إذاكنت ما زلت على قيد الحياة».

وتوقفت قليلاً، ثم استطردت في صوت يخنقه البكاء:

«وكيف لي أن أعرف أنك لا تتصل بامرأة غيري»

وما كادت ديليا تنطق بهذه الجملة الأخيرة حتى بدا وكأن بركاناً من الغضب قد انفجر فجأة داخل ادموند.

ونظرت اليه وشعرت بالخوف وهي ترى رغبة مجنونة تطل من عينيه. فتراجعت الى الخلف. ولكنه أسرع نحوها واحتواها بين ذراعيه ثم حملها وألقى بها فوق الفراش. وشعرت ديليا بالخوف، فقد بدا لها ادموند شخصاً آخر متوحشاً غير ادموند المهذب الذي عرفته دائماً. وحاولت الابتعاد عنه، لكنه لم يمكنها من ذلك، فقد أمسك رأسها بين يديه بقسوة واخذ يعانقها في نهم ووحشية حتى أنها لم تستطع الاستجابة له.

وحاولت دفعه بعيداً عنها، ولكن محاولتها للتخلص منه أشعلت رغبته. ولأول مرة منذ زواجها، شعرت ديليا بأن زوجها يقسو عليها بدون أي اعتبار لرغباتها.

وبعد أن انتهى، تركها وهو يهمس في أذنها:

«لقد فعلت ذلك لتعرفي من أنا. أنا زوجك. وعندما أعود في المرّة القادمة من سفري، أرجو أن أجدك أكثر حباً وترحيباً بي».

وترك ادموند الفراش، ووضع روبه فوق جسده وغادر الغرفة وهو يغلق الباب في هدوء.

واستلقت ديليا فوق الفراش لفترة قصيرة، ثم غادرته متجهة الى الحمام حيث غسلت وجهها، ثم عادت الى غرفتها وارتدت ملابسها وجلست تمشط شعرها أمام المرآة وهي تبكي في صمت. أنها شعرت في تلك اللحظة بأنها فقدت ادموند الذي أحبته.

عاد ادموند بعد قليل وهو يحمل قدحاً من الشاي وضعه أمامها وهو ينظر اليها. ولكن ديليا لم تحاول النظر اليه، وأخذت تنظر الى القدح الموضوع أمامها. فجلس ادموند بجانبها وأمسك بذقنها واضطرها للنظر اليه. ومر بأصبعه برفق على شفتيها وهو يقول:

«انني آسف».

ولكن ديليا كانت لا تزال منفعلة ومستاءة، فتراجعت الى الخلف وانتفضت واقفة، وهي تحاول الابتعاد عنه ثم صاحت قائلة:

«ابتعد عني... لا تلمسني!»

فانتفض ادموند واقفاً وقد عقد يديه على صدره وهو يقول:

«لم أقصد ايذاءك».

ورفع يده الى جبهته وهو يقول في صوته العميق الهادىء:

«لا أعرف ماذا حدث. ربما أكون استأت لأنني عدت ولم أجدك. لقد جئت قبل

موعدي لأنني كنت في شوق اليك، واعتقدت أنها ستكون مفاجأة سارة لك».

ثم أخذ نفساً عميقاً، وقال في صوت أجش:

«يا إلهي. لا تنظري اليّ هكذا يا ديليا وكأنني وحش. انني لم أقصد ايذاءك. ولقد اعتذرت لك. ماذا أفعل لأجعلك تصدقين ذلك؟»

وتقدّم نحوها ولكنها تراجعت الى الخلف وهي تقول باكية:

«لا يمكنك أن تقول أو تفعل شيئاً. لماذا عدت اليوم؟ لماذا أفسدت كل شيء بعودتك غير المتوقعة».

وشحب وجه ادموند، وأدركت ديليا أنها أخطأت بقولها ذلك لأنه قد يسيء فهمها، فوضعت يديها على وجهها وهي تنتحب قائلة:

«انني لم أقصد أن أقول ذلك. لا أستطيع أن أتحمّل أكثر من هذا. ماذا أفعل؟»

واندفعت ديليا الى خزانة ملابسها وجذبت معطفاً وضعته فوق كتفيها، ثم أخذت حقيبة يدها من فوق المائدة فأسقطت قدح الشاي. ان كل ما كانت تشعر به في تلك اللحظة هو حاجتها الى أن تنفرد بنفسها قليلاً.

وسألها ادموند:

«الى أين أنت ذاهبة يا ديليا؟»

فردّت وهي تبكي بحرقة:

«لا أعرف. لا أريد أن أراك، بعد أن أفسدت كل شيء».

واندفعت ديليا خارجة من الشقة ولم يحاول ادموند أن يتبعها أو يمنعها من الخروج. خرجت الى الشارع وحين لفح هواء الليل وجهها، أفاقت الى نفسها وتساءلت لماذا غادرت المنزل. وكانت على وشك العودة، لكنها لمحت عربة اوتوبيس قادمة فاستوقفتها، وقفزت بداخلها وظلّت بها حتى نهاية الخط ثم عادت بنفس العربة. وعندما وصلت الى الشارع الذي يقع به منزلها، كانت نفسها قد هدأت، وكانت تشعر أنها على استعداد للاعتذار من ادموند.

ولكنها عندما فتحت باب الشقة، أدركت أن ادموند ليس بالداخل. وظلّت

جالسة طوال الليل في غرفتها بأنتظاره، ولكنه لم يعد.

وفي الصباح ذهبت الى عملها، وأخذت تنتظر محادثة تليفونية من ادموند ليدعوها الى مقابلته ولكنه لم يفعل. وفي طريقها الى المنزل اشترت له الأطعمة التي يحبها وزجاجتين من الشراب وفتحت باب الشقة وهي تناديه ولكن ليس من مجيب. وعندما دخلت الى غرفة النوم، اكتشفت انه لم يعد مطلقاً الى المنزل في غيابها.

شعرت ديليا باليأس فاتصلت ببيتر تسأله ان كان قد رأى ادموند، فجاءها صوته قائلاً:

«نعم. لقد رأيته. ولكنه رحل لتوه».

فشعرت بالراحة وقالت:

«اذاً سيكون عندي هنا خلال دقائق».

وبدا لها وكأن بيتر يحاول التقاط أنفاسه، ثم سمعته يقول:

«لا أعتقد، انه لن يحضر الى المنزل. لقد غادر لندن وترك لك رسالة معي. هل تحبين يا عزيزتي ان أحضر اليك أتحدث معك قليلاً. فانني لا أستطيع بحث هذا الموضوع في التليفون».

٢ ـ سقوط الطائرة

كانت الشمس ساطعة والسماء صافية، وديليا تجلس في مقعدها في الطائرة الصغيرة المحلقة فوق الأراضي البرازيلية. نظرت ديليا من نافذة الطائرة، فرأت الأدغال تمتد الى مساحات شاسعة، وبدت مثل عباءة خضراء تغلف الارض كلها على امتداد البصر.

ولما كانت زيارتها للبرازيل رسمية، فقد وجدت في انتظارها في مطار ريو دي جانيرو عدداً من المسؤولين في قسم الشؤون الهندية في الحكومة البرازيلية. اقتادوها الى فندق فخم يطل على ساحل كوبا كابانا. ولم تتمكن من النوم طيلة الليل بسبب صوت مرور السيارات الذي لم يتوقف لحظة واحدة.

وفي اليوم التالي، سافرت مع الأستاذ كلوديو رودريغيز أستاذ التاريخ الطبيعي، الذي جاء معها على نفس الطائرة ويعمل كضابط اتصال في ادارة رعاية القبائل في البرازيل.

واتجهت بها الطائرة الى يوستو اورلاندو في وسط منطقة الأدغال الضخمة حيث يقع مركز رعاية القبائل البدائية للهنود البرازيليين.

وعلى الرغم من أن ديليا كانت متشوّقة لرؤية هذه المناطق التي لم تزرها من قبل، إلاّ أنها شعرت بالخوف من الثعابين والزواحف التي تنتشر في مثل هذه المناطق.

وقطع على ديليا أفكارها صوت الاستاذ رودريغيز وهو يقول:

«سنصل خلال بضع دقائق. اربطي حزامك».

وبعد دقائق هبطت الطائرة على ممر بدائي يمتدّ وسط الغابة. ونزلت ديليا من الطائرة، وكان أول ما وقعت عليه عيناها الأكواخ التي تشبه في شكلها خلية النحل وقد صنعت أسقفها من جذوع النخيل. ووجدت في انتظارهم جماعة من الهنود الذين لايكاد يستر اجسادهم شيء، ومعهم رجل مسن يرتدي شورتاً وقميصاً من القطن. بالاضافة الى شاب لطيف المظهر طويل القامة، وسيدة برازيلية شعرها أسود طويل عقصته خلف عنقها وقد اكتست بشرتها بلون برونزي رائع.

تقدم الرجل المسن من ديليا، وحيّاها على الطريقة البرازيلية فقبّلها على وجنتيها، وهو يقول بالانكليزية:

«أهلاً. أهلاً. شيء جميل أن أرى ابنة أعز صديق لي فرانك فينويك. أنا أدعى لويز سانتوس».

وأشار الى الشاب متابعاً كلامه:

«وهذا ابن أخي مانويل سانتوس الذي يعمل كخبير اجتماعي في المركز، وهذه زوجته ريتا».

صافحت ديليا مانويل وزوجته وهي تجول بعينيها في حذر لترى ادموند من بين مجموعة المستقبلين، ولكنها لم تجده.

فسألها لويز:

«هل تبحثين عن ادموند؟ أعتقد انه في المستشفى للكشف على بعض المرضى. لقد احتفظت بالسر كما وعدتك ولم أخبره بأن الصحفية التي ستحضر على هذه الطائرة هي زوجته. كما أنني، لم أخبر ريتا و مانويل بذلك».

والتفت لويز الى مانويل و ريتا يوضح باللغة البرازيلية أن ديليا زوجة ادموند، فنظرا اليه بدهشة شديدة. هتفت ريتا بلهجة أمريكية:

«ولكن ادموند سيفاجأ بحضورك. كنا نتحدث عن الصحفية التي ستحضر لعمل تحقيق صحفي عن الوضع هنا، وضحكنا كثيراً حين قال ادموند انها ستكون سيدة خشنة تتحدث بسرعة. ولم يتوقع احد أن تكون هذه الصحفية

سيدة جميلة ورقيقة مثلك. ولم يكن لدينا فكرة عن أن ادموند متزوج».

وسألت ديليا:

«وكيف حاله؟»

فردّ لويز:

«سأتحدث معك عن ذلك في طريقنا الى القرية».

وبعد أن أصدر تعليماته الى الجنود لنقل الامدادات التي حملتها الطائرة، أمسك بذراعها وقادها الى ممر تحيط به الحشائش الطويلة الحادة. وسارا خلف عربة الجيب التي وضعت عليها امتعتها وصناديق الامدادات الطبية.

وفي الطريق قال لويز يحدثها عن ادموند:

« ادموند أحسن كثيراً عما كان عليه في الوقت الذي بعثت لك بأول خطاب. لكنه ما زال هزيلاً للغاية ويشعر بالارهاق سريعاً. انه يحتاج الى فترة راحة، ولكنه مصمم على اتمام العمل الذي جاء من أجله. لقد حاولت اغراءه على التوجّه الى برازيليا أو ريودي جانيرو لفترة من قبيل التغيير، لكنه رفض. ربما تستطيعين اقناعه بذلك، خاصة أنك زوجته وعلى هذا القدر من الجمال».

نظرت اليه ديليا بطرف عينها وهي تحدث نفسها: ليته يعرف طبيعة العلاقة بيني وبين ادموند.

وسألته ديليا:

«كيف عرفت أنني زوجته وهو لم يخبر أحداً بذلك؟»

«المسألة لم تكن صعبة. فعندما وصل الى المركز بعد حادث سقوط الطائرة، كان مريضاً للغاية ومصاباً بالحمّى. ووجدت انه من الضروري ابلاغ أقاربه. بحثت في أمتعته فوجدت جواز سفره الذي كتب في نهايته قائمة بأسماء وعناوين الأشخاص الذين يمكن الاتصال بهم في حالة الطوارىء. وكان اسمك على رأس هذه القائمة. لذلك كتبت اليك لأبلغك بالأمر».

كان الخطاب الذي بعث به لويز الى ديليا أول شيء يصلها عن

ادموند بعد رحيله عن لندن منذ سته عشر شهراً وأول ما فكّرت فيه هو السفر على اول طائرة متجهة الى البرازيل. كانت تشعر بشوق شديد الى لقاء ادموند والعناية به. ولكنها ترددت حين تذكّرت الأحداث التي أدّت الى رحيله. فبالرغم من انها ما زالت زوجته، الا أنهما يعتبران في حكم المنفصلين.

ظلت في دوّامة وهي لا تدري ماذا تفعل. وقد أثّر ذلك على أعصابها، وأصابتها حالة من الاكتئاب النفسي، أثّرت على عملها حتى أن رئيسها لاحظ ذلك.

وذات يوم استدعاها الى مكتبه لمراجعتها في بعض الأخطاء، فوجدت نفسها تقص عليه مخاوفها تجاه ادموند ورغبتها في التوجّه لزيارته.

واستمع اليها بن ديفيز رئيسها في صبر وقد بدا عليه التفكير، ثم سألها:

«هل تريدين الذهاب لرؤيته يا ابنتي؟»

«نعم أريد ذلك. ولكنني لا أدري كيف أسافر كل هذه المسافة وحدي، وربما يختفي مرة أخرى لو عرف بأنني سأذهب للقائه».

ولكن ديفيز قاطعها قائلاً:

«لكنه لن يعرف بأمر ذهابك الى بوستو اورلاندو»

فحملقت في وجهه بدهشة وهي تسأل:

«ولكن كيف؟»

فابتسم ديفيز وهو يقول:

«ستذهبين الى هناك للقاء لويز سانتوس وليس ادموند. سأرسلك في مهمة صحفية كمحرّرة للمجلة. وستكون هذه اول فرصة لتقومي بالعمل الذي قام به والدك ككاتب للمقالات الجغرافية. كل ما يجب عليك فعله هو أن ترسلي الى لويز، وتطلبي منه الاحتفاظ بأمر ذهابك سراً. وسأكتب اليه بنفسي لأبلغه أنك ستقومين باعداد بعض المقالات عن المركز الذي يديره. وأعتقد أنه سيهتم بك الى حد كبير اذا عرف أنك ابنة صديقه فرانك فينويك».

توقف ديفيز قليلاً ليشعل غليونه، ثم سألها:

«هل لديك فكرة عن عمل زوجك هناك؟»

«طبعاً لما عرفته من السيد سانتوس، كان ادموند يقوم بجولة كمبعوث لاحدى المنظمات الدولية لجمع الأموال لشراء الأدوية والمعدات الضرورية للقبائل البدائية. حين سقطت الطائرة التي كان يستقلها مع بعض الأشخاص الآخرين فوق منطقة الأدغال، وكان هو الوحيد الذي نجا من الحادث. وقد ظل مفقوداً لبضعة أسابيع ولكنه تمكن في النهاية من الوصول الى المركز في حالة يرثى لها».

حاول ديفيز أن يطمئنها، وطلب منها الاسراع باعداد نفسها للسفر. وفعلاً تم اعداد كل شيء. وها هي الآن وصلت الى بوستو اورلاندو تسير بين الأكواخ البدائية وقد تلاحقت دقات قلبها ترقباً للحظة التي سترى فيها ادموند.

وقادها لويز الى غرفة متسعة حيث تناول الجميع اقداح القهوة وتزاحم الجنود على الباب يشاهدون الضيوف الجدد، وكأن وصول طائرة الامدادات حدث اجتماعي هام في هذه المنطقة المنعزلة.

وبعد الانتهاء من تناول القهوة، صحب لويز الطيّارين والمضيف والاستاذ رودريغيز الى الطائرة. وصحبت ريتا ديليا الى غرفتها. وسألتها وهما تتجهان الى أحد المباني الواقعة في ظل أشجار الكافور والموز:

«هل تتحدثين البرتغالية؟»

«حاولت ذلك قبل حضوري الى هنا. ولكن لم يكن لديّ الوقت الكافي لأتعلم الا بعض العبارات البسيطة. لذلك لم أستطع فهم ما وجه اليّ من عبارات بالبرتغالية. ولولا أن البعض يتحدث الانكليزية، لوجدت نفسي في موقف لا أحسد عليه. وأنت أين تعلمت الانكليزية؟»

«في المنزل. أمي أميركية، وكانت تتحدث الينا دائماً بالانكليزية. ولكن لا تنزعجي. سيمكنك تعلم اللغة البرتغالية بالاستماع الينا. وسأتولى مساعدتك على ذلك قدر الامكان. ان ادموند يتحدث هذه اللغة بطلاقة الآن».

ووصلنا أخيراً الى حيث توجد غرف الاقامة. وكانت أبوابها تفتح على شرفة طويلة ترتفع عن الأرض ببضع درجات خشبية. واتجهتا الى نهاية الشرفة حيث فتحت ريتا باب الغرفة الأخيرة وهي تقول:

«هذه هي غرفة ادموند. كان من المقرر أن تشاركيني غرفتي على أن ينزل مانويل في غرفة ادموند، ولكن لا داعي لذلك الآن فأنت زوجته».

ثم ابتسمت ريتا وهي تنظر الى ديليا قائلة:

«أعتقد أنه ليس لديك مانع من مشاركة زوجك غرفته؟»

فردّت ديليا بسرعة:

«بالطبع لا».

ولكنها كانت تسائل نفسها عما اذا كان ادموند سيعترض على ذلك.

كانت الغرفة معتمة غير متجددة الهواء، ولكنها كانت نظيفة للغاية. وكان فيها سريران أحاطت بهما شباك للوقاية من الناموس. وفي أحد اركان الغرفة باب يؤدي الى حمام صغير. ولم يكن هناك اي شيء خلاف ذلك سوى حقيبة سفر وضع عليها قفل.

قالت ريتا وقد لاحظت دهشة ديليا لوجود القفل على الحقيبة:

«اننا هنا لا نترك شيئاً دون أن نوصده وليس ذلك لأن الناس يسرقون، ولكن لأنهم اعتادوا أن يتقاسموا كل شيء فيما بينهم، لذلك فهم يفترضون أن ما نملكه نحن يعتبر ايضاً ملكاً لهم».

والتفتت ديليا خلفها لتجد عدداً من الجنود وقد تبعوها الى الغرفة، ووقفوا يحملقون في حقائبها التي وصلت قبلها. وتقدم بعضهم ليلمسها، فشعرت ديليا بالخوف وهي تقاوم رغبتها في الفرار منهم وهم يتلمسون شعرها ورداءها والميدالية التي تتدلى من عنقها.

فقالت ريتا باسمة:

«يتوقعون أن تقدمي لهم بعض الهدايا. هل أحضرت شيئاً معك؟»

وفتحت ديليا احدى حقائبها، فتجمعوا حولها في ترقب، أخرجت بعض الحلوى ووزعتها عليهم، فأخذوها فرحين وخرجوا من الغرفة.

وقالت ريتا وهي تخرج:

«أعتقد أنك تريدين الاغتسال، وتغيير ثيابك. غرفتي ملاصقة لك. وعندما تستعدين، سأكون في انتظارك».

وبعد أن اغتسلت ديليا وبدلت ثيابها، اتجهت مع ريتا الى مبنى كبير يشبه المخزن. له سقف ولكن ليست له جدران.

وعندما وصلتا الى المكان، كان لويز و مانويل يستلقيان فوق بعض الشباك يدخنان السيكار ويتحدثان. نزل لويز من فوق شبكة النوم عندما رأى ديليا ورحّب بها قائلاً:

«سنقوم بجولة في انحاء المكان. تعتبر بورستو أورلاندو أحد اهم المواقع التي يتكوّن منها المركز العام لرعاية القبائل الممتد الى الداخل لآلاف الكيلومترات. وفيه المستشفى المعد لاستقبال المرضى من القرى النائية حيث يمكن أيضاً اجراء بعض الجراحات البسيطة».

وتوجها الى المستشفى التي كانت تقع في مبنى حجري، جدرانه سميكة تمنع تسرب الحرارة الى الداخل. وفي مدخل المستشفى حيث كانوا يحتفظون بالمعدّات والامدادات الطبية، قدّمها لويز الى الممرضة التي سألها بعض الأسئلة بالبرتغالية. فأشارت الى أحد الأبواب في الطرف الآخر من المدخل.

وقال لويز محدثاً ديليا:

«ادموند هنا كما توقعت. لقد سعدنا جداً بحضوره الى المركز، لأن الطبيب الذي يعمل معنا عاد الى بلاده في اجازة. ومعظم الأطباء هنا من المتطوعين».

شعرت ديليا بالاضطراب وهما يتجهان الى عنبر المرضى، وكانت حبات العرق تتساقط على جبهتها، ولكنها حاولت التماسك لتبدو طبيعية.

وعندما دخلا الى العنبر، رأت ديليا رجلاً ينحني فوق أحد الأسرّة في نهاية

العنبر ووقفت الى جانبه ممرضة متقدمة في العمر.

عرفت ديليا انه ادموند، برغم أنها لم تر وجهه. كان شعره يلمع تحت أشعة الشمس البسيطة التي تسلّلت الى العنبر وقد تركه يطول. وأحاطه من فوق جبهته بشريط ملوّن كما يفعل الهنود.

وعندما اقتربت ديليا، كان ادموند يتحدث بصوت هادىء بالبرتغالية. رفع وجهه فجأة فرآها. برقت عيناه الزرقاوان واتسعتا من الدهشة وهو يجول ببصره بينها وبين لويز. ولكنه لم ينطق بحرف واحد.

فصاح لويز قائلاً:

«يا إلهي. ما هذا يا ادموند؟ انك رجل بارد حقاً. ألا تعرف هذه المرأة الصغيرة؟»

واستعاد ادموند حالته الطبيعية سريعاً، ونظر الى ديليا بثبات وقد ارتسمت على فمه ابتسامة سخرية خفيفة. حاولت ديليا أن ترسم ابتسامة على شفتيها وهي تقاوم رغبة عنيفة في الارتماء بين أحضانه.

وقال ادموند يحيّيها في صوت هادىء:

«أهلاً! يا ديليا. انها حقاً مفاجأة لي».

ثم نظر الى لويز وهو يضيف:

«كنت أعتقد أنك تتوقع وصول صحفية».

«هذا صحيح. انها زوجتك التي حضرت بصفة صحفية لعقد لقاءات معنا تساعدها في كتابة بعض المقالات».

فتساءل ادموند في دهشة وهو ينظر الى ديليا:

«هل حقاً ما يقول؟»

فهزّت ديليا رأسها بالايجاب، وهي تخشى أن يفضح صوتها ما يعتمل داخلها من مشاعر. فأضاف ادموند:

«ان هذا سيفيدك كثيراً. أهنئك على هذه الوظيفة الجديدة».

فشكرته ديليا بصوت منخفض، ولاحظت أن لويز يراقبها باهتمام،

فقالت:

«كيف حالك؟»

وكان ادموند قد فقد الكثير من وزنه، وبدا أكثر نحولاً، ولكنّ عينيه احتفظتا ببريقهما. وردّ بعدم اكتراث:

«بخير»

ثم التفت الى لويز يسأله:

«لماذا لم تخبرني بأن ديليا ستحضر الى المركز؟»

فردّت ديليا متلعثمة:

«أنا ... أنا طلبت منه ذلك... وسأشرح لك الأمر فيما بعد»

فقال لويز:

«نعم، نعم، يمكنكما أن تؤجلا الحديث لحين عودتكما الى غرفتكما. والآن نتركك لتنتهي من عملك وسأصحب ديليا في أنحاء المكان»

لم تحاول ديليا النظر الى الخلف وهما يغادران العنبر حتى لا تفضح مشاعرها أمام ادموند.

وعندما خرجا من المستشفى، سألها لويز وهو يهز رأسه بدهشة:

«لا أستطيع التصور، أنت وادموند تتقابلان بدون أي عناق؛ ان أي أحد يراكما، يعتقد أنكما لستما سعيدين بهذا اللقاء. ألست سعيدة بلقاء ادموند؟»

«بالطبع. سعيدة جداً»

كانت ديليا صادقة في هذا القول، بل كانت أكثر من سعيدة بلقاء ادموند من جديد. ولكنها حاولت كل جهدها لتكتم هذه الفرحة.

ورأت أنها يجب أن تعطي تفسيراً للقاء البارد بينها وبين ادموند، فأضافت:

«ولكن أنت تعرف أننا لم نتعود اظهار عواطفنا امام الغرباء»

«آه، الآن وضح الأمر لي. لقد نسيت أن الانكليز يخجلون من اظهار عواطفهم في الأماكن العامة. ان اللقاء الحقيقي سيتم في غرفتكما، وربما يكون هذا أفضل.

والآن تعالي، سأصحبك داخل أحد أكواخ قبيلة كورو وهي احدى القبائل التي تقيم الآن بالمركز»

وكان المكان معتماً ورطباً بالداخل، وهناك رجل وامرأة يطهوان السمك فوق أرض الكوخ. والدخان الناجم عن نيران الطهي يخرج من فتحة في السقف.

وبعد أن خرجا من الكوخ، سارا ببطء عائدين الى المبنى. وكان لويز يشرح لديليا خلال الطريق كيف تسير الأمور في المركز.

لم تكن في حالة تسمح لها باستيعاب كل ما يقوله كانت في حالة يرثى لها بسبب الرطوبة الشديدة وحرارة الشمس. أقترح عليها لويز أن تستريح فوق احدى الشباك المعلقة في المبنى حتى يعود اليها.

ولم تكن ديليا تعرف كيف تتسلق الشبكة المعلقة، المتسعة الى الحد الذي يمكن لشخصين الاستلقاء عليها معاً. فجلست على حافتها بحذر وهي تخشى السقوط منها.

وفجأة سمعت صوت ادموند يقول لها:

«اخلعي حذاءك قبل الاستلقاء فوق الشبكة»

ونظرت الى أعلى بدهشة فرأت ادموند يمر بها متجهاً الى الشبكة الأخرى، وقفز اليها بسهولة بعد أن خلع حذاءه.

انحنت ديليا تخلع حذاءها، وألقت بنفسها فوق الشبكة كما فعل ادموند. وبالرغم من ذلك فإن ديليا لم يمكنها الشعور بالراحة. فقد أخذ الناموس في مهاجمتها وهي تحاول أن تبعده عنها.

وقذف اليها ادموند بعلبة سكائر، فالتفتت اليه وكان يستلقي في استرخاء تام وقد تدلت احدى ساقيه من فوق الشبكة. نظر اليها في سخرية من خلال دخان سيكارته وهو يقول:

«التدخين هو الوسيلة الوحيدة لابعاد الحشرات. ما لم تكوني ترغبين في طلاء جلدك بالسائل الذي يستخدمه الهنود. ألم تحضري معك كمية من السكائر؟»

«بلى. ولكنها في الحقيبة».

أخرجت ديليا سيكارة وأشعلتها. ولم تكن قد دخنت من قبل، فأخذت تسعل عندما دخل الدخان الى حلقها، ودمعت عيناها. وسمعت ادموند وهو يضحك عليها، فتولاها شعور بالحزن. كم هو قاس معها. كيف يكون بهذه القسوة في الوقت الذي تمتلىء نفسه بالمشاعر تجاه الشعوب البائسة المحتاجة الى مساعدة؟ ولكن ربما لا يحبها ولم يحبها أبداً.

وبعد أن هدأ سعالها، سألها ادموند:

«هل كنت تعرفين أنني في هذا المكان؟»

«تسلّمت خطاباً عرفت منه أنك وصلت الى هذا المكان بعد حادث الطائرة في حالة يرثى لها. اوه يا ادموند لماذا لم تتصل بي؟ لماذا لم تخبرني بأنك ستذهب الى البرازيل؟»

نظر اليها ادموند في حيرة، وسكت قليلاً ثم قال:

«في الحقيقة لم أكن أظن أنك تهتمين بمعرفة مكاني. انني أتذكر تماماً أنك كنت آسفة في آخر لقاء لنا لأنني عدت وأفسدت عليك كل شيء. ثم خرجت من المنزل، ولما لم تعودي اعتقدت أنك لا ترغبين في رؤيتي كما قلت، فتركت المنزل وسافرت».

وكانت ديليا تشعر بالندم لأنها تسببت في هذا الفراق الذي وقع بينها وبين ادموند بعد ثلاثة عشر شهر من الزواج.

وأضاف ادموند في برود:

«انني مندهش لأننا ما زلنا زوجين. اعتقدت أنك حصلت على الطلاق، وأنك تزوجت بيتر».

«ولكن كيف يحدث ذلك؟ انني لم أكن أعرف مكانك».

«ان هذا لا يهم. فان محامياً ماهراً مثل بيتر يمكنه التغلب على هذه العقبة والحصول على الطلاق».

«نعم. كان يمكنه ذلك بالفعل. ولكن... ولكن أنا طلبت منه ألا يفعل ذلك».

فسألها في برود:

«ولماذا؟»

«لأن. لأنني لم أكن متأكدة. لم أكن أعرف».

وتوقفت ديليا عن الحديث، فأن موقف ادموند العدائي منها جعلها تكتم حقيقة مشاعرها.

وانتبهت ديليا الى صوت ضحكات، فالتفتت لترى عائلة هندية تسير في طريقها الى الشاطىء بسعادة واضحة. وتمنت في هذه اللحظة لو أنها تشعر بمثل هذه السعادة التي لا يعكّر صفوها شيء.

ثم رأت ادموند يقفز من فوق فراشه المعلّق، ينحني ليضع حذاءه، فبدا لها كأي شخص بدائي. وتذكّرت قول خالتها مارشا بأنه يحب الحياة البدائية والذهاب الى الأدغال للعيش مع القبائل. وقالت ديليا تحدّث نفسها: لا بد أنه سعيد في هذا المكان حيث يعيش حياته كما يحلو له.

تقدّم ادموند، فوقف أمامها وأخذ ينظر اليها وهي مستلقية فوق فراشها المعلّق، ثم قال:

«يبدو أنك تشعرين بالحر. هل تشعرين برغبة في السباحة».

«أليست هناك خطورة من السباحة في هذا النهر؟»

«لا. انني أرتدي ملابس الاستحمام تحت الشورت. اذا كنت تريدين الاستحمام في النهر، فاذهبي لتغيير ثيابك وسأكون في انتظارك هنا بعد عشر دقائق. هل تعرفين مكان حقائبك؟»

«نعم. في غرفتك. لقد طلبت مني ريتا مشاركتك غرفتك. أرجو ألا يضايقك هذا».

فرد بعدم اكتراث:

«ولماذا يضايقني. اذهبي وبدلي ثيابك، ولاتنسي أن تلبسي حذاءك، فان المكان مليء بالحشرات الصغيرة».

وعندما وصلت ديليا الى غرفتها، رأت جماعة من الهنود يجلسون في الشرفة. وعندما رأوها وقفوا وتبعوها الى الغرفة. وشعرت ديليا بالخوف، ولكنها رأتهم يشيرون الى حقيبتها فتذكرت الحلوى أخرجت بعضها ووزعتها عليهم. فغادروا الغرفة على الفور.

أغلقت الباب وأوصدته من الداخل، ولكنها لمحت الهنود وهم يتلصصون من خلف شقوق النافذة المغلقة لينظروا اليها.

وعندما خرجت وهي ترتدي ثوب الاستحمام، تبعوها الى حيث كان ادموند في انتظارها. وعندما رآها ابتدرها قائلاً في سخرية:

«أرى أن لك جمهوراً من المعجبين».

فقالت وهما يتجهان الى الشاطىء الرملي:

«انهم معجبون بالحلوى التي أحضرتها معي».

فسألها وهو يخلع قميصه وبنطلونه القصير:

«أي نوع من الحلوى؟»

«انه من حلوى تالبوت. ولكن لماذا يحب الهنود الحلوى الى هذه الدرجة؟»

«لأنهم لا يتناولون الحلوى ولا يستعملون السكر. ليست لديهم فاكهة طازجة. أرجو أن تستبقي لي بعضاً من الحلوى التي أحضرتها معك».

وجرى ادموند لينزل الى النهر، وتبعته ديليا وهي تشعر بالسعادة لأنها معه.

استلقت ديليا على ظهرها فوق الماء، وفوجئت بعدد من الأطفال الهنود يتصايحون وهم يتقاذفون الكرة في الماء وقد أحاطوا بها. وألقى أحدهم بالكرة اليها ووجدت نفسها تشترك معهم في اللعب، ثم انضم اليهم ادموند. واستمروا يلعبون لفترة من الوقت ثم خرجت ديليا من النهر وهي تشعر بالسعادة، واستلقت فوق منشفتها وهي تراقب ادموند الذي تبعها. جلس الى جانبها وقد مد ساقيه الطويلتين واستند الى ذراعيه. وقال متأملا في الأفق:

«السباحة هنا ليست مثل السباحة في البحر، ولكنها أحسن من لا شيء. كنت أتخيل نفسي أسبح في البحر عندما فقدت في الأدغال».

«هل تألمت كثيراً؟»

«ان أسوأ ما مر بي هو سقوط الطائرة واكتشافي أنني الشخص الوحيد من بين الركاب الذي كان لا يزال على قيد الحياة. وبعد ذلك تسلطت على تفكيري فكرة واحدة. هي الوصول الى المركز في أسرع وقت ممكن. وقد استعنت ببوصلة الطائرة التي لم تدمر في الحادث لمعرفة طريقي».

«كم استغرقت من الوقت لتصل الى هنا؟»

«أخبرني لويز بعد ذلك أنني أمضيت ثلاثة أسابيع في الأدغال قبل الوصول الى المركز».

«ومن كان معك على الطائرة؟»

«الطيار وشخصان آخران تابعان لاحدى المنظمات الدولية. وكنا في طريق عودتنا من فينينال بعد الانتهاء من بعض البحوث. المؤسف حقاً أننا لم نكن نرغب في مغادرة فينينال فقد قضينا وقتاً ممتعاً فيها».

وتوقف ادموند عن الحديث وهو يستلقي على المنشفة ويرفع يده ليحجب أشعة الشمس عن عينيه، ثم أضاف:

«وبعد موت انغريد و نيل أصبحت الشخص الوحيد المتبقي من الفريق».

ونظرت ديليا اليه بطرف عينها وقد شعرت برنة أسى في صوته فسألته في حذر:

«وهل كانت انغريد و نيل أيضاً متخصصين في الطب الاستوائي؟»

«لا. نيل كان متخصصاً في التاريخ الطبيعي وانغريد على ما أعتقد كانت متخصصة في علم الاجتماع. لقد كانت أروع من قابلت في حياتي».

ثم توقف لحظة قبل أن يضيف بصوت هامس كمن يحدث نفسه:

«لا أستطيع أن أصدق حتى الآن أنني لن أراها مرة أخرى».

وارتجفت ديليا وهي تستمع الى هذه الصرخة التي خرجت من أعماق ادموند. وتولاّها الفضول لتعرف المزيد عن هذه المرأة. ونظرت الى ادموند المستلقي بجوارها، وشعرت برغبة شديدة في أن تمدّ يدها لتلمس صدره العاري ولكنها أفاقت الى نفسها وانتفضت واقفة فرفع ادموند يده عن عينيه ونظر اليها بدهشة متسائلاً:

«ماذا حدث؟»

«لا شيء... انني... انني أريد العودة الى الغرفة لأضع بعض الثياب. الشمس حارقة هنا. هل يمكنني أخذ منشفتي؟»

فنهض ادموند واقفاً وهو يسحب المنشفة ويسلمها لها قائلاً:

«سأذهب معك، فانني أريد أن أرتدي قميصاً نظيفاً»

وفي طريقها الى غرفتها، قابلا ريتا التي أبلغتهما بأن طعام الغداء قد أعد.

وقالت تحدّث ادموند:

«لماذا لم تقل لنا ان لك زوجة على هذا القدر من الجمال؟»

ولكن ادموند تجاهل حديثها، ومضى الى الغرفة بدون أن يلتفت اليها.

وتبعته ديليا الى الغرفة، ولم تجد أحداً من الهنود في الشرفة هذه المرة. وخلع ادموند ثوب استحمامه في الغرفة بدون أي حرج ووضع قميصاً وشورتاً نظيفاً. أما ديليا فبدّلت ثيابها في الحمام. وعندما خرجت كان ادموند يجلس على حافة الفراش يقرأ في صحيفة أحضرتها معها، وأدركت على الفور أنه فتح حقائبها. فتولاها الغضب للحظة، وكانت على وشك أن تقول له انه لا يحق له التفتيش في حاجياتها بدون اذن منها، ولكنها تراجعت وهي تفكّر بأن ادموند لم يفعل ذلك عن قصد، وانه مثل الهنود يعتقد أن من حقه مشاركتها في كل شيء.

نظر ادموند اليها وأخذ يتفحصها بعينيه ببطء، ثم قال:

«ريتا على حق فأنت جميلة. لقد نسيت كم أنت جميلة».

وارتبكت ديليا، وشعرت بالسعادة لأنه ما زال يراها جميلة ولكنها استاءت لأنه نسي ذلك.

ثم أضاف ادموند:

«ولكن لا بد أن يكون بن ديفيز فقد عقله ليرسلك الى هذا المكان لتكتبي له مقالات».

كانت تود لو تقول له أنها حضرت الى هذا المكان من اجله فقط، ولكنها تراجعت. كانت تشعر أنه ما زال يتخذ حيالها موقفاً عدائياً. فقالت:

«ولماذا لا يرسلني بن ديفيز لقد عملت معه لفترة طويلة، وكان عليه أن يتيح لي مثل هذه الفرصة لأثبت كفاءتي».

«أعرف ذلك. وأنا سعيد لأنه أتاح لك الفرصة أخيراً. ولكن كان يمكنه أن يرسلك الى أي مكان آخر أكثر ملاءمة لك، فان مثل هذه الأدغال ليست المكان المناسب لك».

فقالت محتجة:

«انني لا أرى سبباً لذلك. فان نساء كثيرات غيري حضرن الى هذا المكان وأقمن فيه. لقد أخبرتني بنفسك عن السيدة التي كانت تعمل معك في فيتنال. واذا كان بامكان هذه السيدة السفر الى الأدغال والعيش بين القبائل البدائية، فيمكنني أنا أيضاً أن أفعل ذلك».

فردّ ادموند بصوت هادىء، وهو ينظر من جديد الى الصحيفة:

«ان انغريد كانت شخصية لا مثيل لها».

فقالت ديليا وقد بدأت تشعر بالغيرة:

«تعني أنني لست مثلها؟»

«ليس تماماً».

فقالت ديليا بانفعال:

«أعتقد أنك لا تريد وجودي في مثل هذا المكان، ليس لأنه غير مناسب لي. ولكن لأنك لا تريدني معك».

فقال بانفعال:

«ان ما أريده لا دخل له في هذه المسألة. ما كان يجب أن تحضري الى هنا».

وشعرت ديليا بالاستياء، فبدل أن ينعما بلقائهما ها هما يتشاجران من جديد، وها هي تغار من امرأة لم تعد على قيد الحياة. فانفجرت قائلة:

«انك ما زلت كما أنت ولم تتغير. انت لم تردني أبداً الى جانبك. مانويل سانتوس أحضر زوجته معه، أما انت فتريدني بعيدة عنك. كان عليّ أن أبقى وحيدة في لندن انتظرك. لم أكن بالنسبة لك سوى فتاة تشاركها الفراش عندما تعود الى لندن، ثم لا تلبث أن يعاودك الحنين الى الأدغال فتتركها من جديد. انك لم تكن تريد زوجة، ولذلك ترددت كثيراً قبل أن تقدم على الزواج».

توقفت ديليا عن الحديث وقد شعرت بالدموع تتجمع في عينيها. ونهض ادموند في حركة مفاجئة، ووجدت ديليا نفسها تتراجع الى الخلف رغماً عنها، ولاحظ ادموند ذلك فقال لها:

«لا تخافي فأنني لن ألمسك. ربما أكون قد نسيت بعض الاشياء، ولكنني لم أنس ما حدث في آخر لقائنا عندما لمستك. كما أنني لم أنس السبب الذي دفعني للزواج منك وان كان يبدو انك قد نسيته. والآن، اذا كنت على استعداد، فلنذهب لتناول الغداء».

واتجه ادموند الى الباب وخرج من الغرفة، وتبعته ديليا مسرعة لأنها لم تكن تعرف المكان الذي يقدم فيه الطعام.

دخلا الى أحد المباني حيث وجدا لويز و مانويل و ريتا والممرضتين يجلسون الى احدى الموائد. ونظرت اليها ريتا وهي تبتسم، وأشارت الى مقعد خال بجوارها، وقالت لديليا:

«تعالي اجلسي بجانبي يبدو عليك الارهاق بسبب الجو الحار والرطوبة».

وجلست ديليا تتناول الطعام المكوّن من الأرز والفاصوليا ونبات استوائي يطلق عليه التيبوكا. تناول الجميع طعامهم بسرعة، ثم بدأوا في تناول القهوة وتدخين السكائر لابعاد الناموس عنهم. فقالت ريتا:

«والآن يمكنك أن تأخذي قسطاً من الراحة في غرفتك. وبعد ذلك، ستذهبين معنا أنا وادموند و مانويل الى احدى القرى القريبة لزيارة رجل مريض».

كانت ديليا بحاجة الى الراحة فعلاً، الا أنها لم تتمكن من النوم على الفور بسبب الانفعالات النفسية التي كانت تتصارع داخلها.

ولم يحضر ادموند لينال قسطاً من الراحة. فظنّت ديليا انه لا يريد أن يبقى معها. وأخذت تحدث نفسها قائلة: «لماذا حضرت الى هذا المكان وماذا كنت أتوقع. هل كنت أتوقع عودة المياه الى مجاريها مع ادموند بنفس السرعة التي دخل بها الحب الى قلبينا؟»

اخذت ديليا تعتقد أن ادموند قد تغيّر، فقد بدا لها انساناً غريباً بارداً متحفظاً. وفكّرت في أنه ربما يعتقد أنها قد تغيّرت أيضاً. لقد باعدت الأيام بينهما فترة طويلة.

٣ - دعي كل شيء للقدر

استغرقت دبليا في النوم أخيراً. وعندما فتحت عينيها من جديد، نظرت حولها بدهشة وهي لا تكاد تذكر أين هي. وفجأة تنبهت الى صوت الباب يفتح برفق، فتذكرت أنها لم توصده من الداخل. ورأت وجه ريتا يطل من فتحته وهي تهمس قائلة:

«هل أخذت قسطاً من الراحة؟ ان الوقت قد حان لذهابنا».

فقفزت دبليا من الفراش وهي تسأل ريتا:

«هل يمكنني الذهاب بهذه الملابس؟»

«بالطبع يمكنك ارتداء أي شيء مريح، نحن هنا في الأدغال ولسنا في نيويورك أو لندن. ولا تنسي أن تحضري معك دفترك وآلة التصوير. كما لا تنسي احضار بعض الهدايا لرجال القبيلة التي سنقوم بزيارتها. لأنهم يحبون الحلوى والسكائر والصابون أيضاً».

وسألت دبليا ريتا وهما تتجهان الى الجيب:

«كم مضى عليك في يوستو أورلاندو؟»

«حوالى ستة أشهر. مانويل يفضل العمل هنا في الأدغال مع عمه. ولكنني أشعر بالتمزق. وانا حائرة بين رغبتي في البقاء الى جواره هنا، وبين لهفتي للبقاء بجانب أطفالي».

«أطفالك! كم طفلاً لديك؟»

فتنهدت ريتا وهي تقول:

«ثلاثة. كلهم اولاد. ثمانية أعوام وستة وأربعة»

«ومن يعتني بهم الآن؟»

«أمي وأخواتي. أنا مطمئنة لعنايتهن الفائقة بهم، ولكنني أفتقدهم بشدة».

«ألا يمكنهم المجيء أثناء العطلة؟»

« مانويل يريد ذلك. لكن لا يمكنني المجازفة باحضارهم لأن الملاريا منتشرة هنا ولم يسلم أحد منها لويز يصاب بها كل شهر مما أثر على صحته، ومانويل أصيب بها أكثر من مرة، كما أصبت بها أنا أيضاً. أما بالنسبة للأطفال، فان الاصابة قد تكون مميتة».

«ولكن من الممكن الوقاية منها الآن. لقد أحضرت بعض الحبوب التي تقيني من الاصابة».

«هذا حقيقي، ولكن يجب المواظبة على تناول هذه الحبوب، وهذا يحتاج الى مال كثير، وهو السبب الذي أتى بزوجك الى هنا. فهو يقوم باعداد تقرير عن الأموال اللازمة للامدادات الطبية. وسيقدم هذا التقرير الى المسؤولين لدى عودته الى لندن. قدمت تقارير بشأن هذه المسألة من قبل، ولكن أحداً لم يتحرك».

فقالت دبليا مؤكدة:

«أنا على ثقة بأن ادموند سيدفعهم للقيام بأي عمل».

وكان مانويل يتولى قيادة السيارة، فجلست ريتا بجانبه. وجلست دبليا مع ادموند في المقعد الخلفي، كما جلس معهما شاب هندي يدعى جيكارو، يحمل معه بندقية. ويرتدي قبعة عريضة من القش يتدلى من تحتها شعره الأسود الطويل.

كان ادموند يضع قبعة مماثلة، وقد بدا انيقاً ساعده على ذلك قوامه النحيل المتناسق وملامحه الدقيقة.

وتمنت دبليا وهي تنظر اليه أن تمد يدها لتلمسه، لم تعد تقوى على كتمان حبها له أكثر من ذلك، ولكنها تماسكت، وسألته والسيارة تشق طريقها وسط

الأدغال....

«لماذا يحمل الرجل الجندي بندقية؟»

«من أهم الأشياء التي يعرفها من يعيش في الغابة، هو ألاّ يذهب الى أي مكان من غير بندقية أو سلاح، لأنه من السهل أن يضل الانسان طريقه بين الأدغال. وعندئذ يصطاد أي حيوان للحصول على غذائه».

«وهل كانت معك بندقية عندما ضللت طريقك في الأدغال؟»

«نعم. أخذت البندقية التي كانت موجودة في الطائرة».

ثم نظر ادموند الى القبعة التي كانت ديليا تمسك بها وقال:

«يجب ان تضعي القبعة لحماية رأسك من الحشرات التي قد تسقط من فوق الشجر».

وأسرعت ديليا بوضع القبعة فوق رأسها. وفجأة سقطت على ركبتها حشرة كبيرة عليها شعر غزير، فصرخت فزعة وهي تحاول ابعادها بيدها. ولكن ادموند نهرها قائلاً:

«لا تلمسيها بيدك، ان شعرها سام».

ثم أخرج سكينه، وأزاح بها الحشرة بعيداً، وهو يقول:

«قلت لك مراراً أنك لا تصلحين للعيش في الأدغال».

ثم أضاف يؤنبها:

«أكان من الضروري صراخك هذا؟»

وضحكت ريتا و مانويل. وشعرت ديليا بالخجل. فقالت بارتباك:

«اني، انني لم أستطع أن أمنع نفسي. فأنا لا أطيق رؤية الحشرات او الثعابين».

فرد ادموند:

«انا أيضاً لا أطيق رؤيتها، ولكنني لا أصرخ او أبالغ في اظهار خوفي اذا صادفني بعض منها».

فقالت محتجة:

«هذه هي المرة الأولى التي أزور فيها الأدغال، ولم تتح لي الفرصة بعد لأرى ما اذا كنت أستطيع العيش فيها أم لا».

«لن تتاح لك الفرصة لذلك. لأنك ستعودين الى برازيليا غداً. وعندما أعود الى المركز سأطلب من لويز ذلك، لأن صحتك لا تساعدك على البقاء في مثل هذه الاجواء».

فأجابت ديليا بحدة:

«ولكن هذا ليس صحيحاً، فانا قوية مثلك تماماً. وكلنا نعرف ان النساء لهن قدرة على التحمل أكثر من الرجال».

فقال ادموند ببرود:

«بعض النساء لديهن مثل هذه القدرة. ولكن ليس من الضروري أن تكوني واحدة منهن. قد تصابين بالملاريا بالرغم من أية احتياطات».

فقالت ديليا بصوت مختنق بالبكاء:

«وهل يهمك هذا؟»

«بالطبع يهمني. الأطباء لديهم ما يكفيهم من متاعب العناية بالمرضى الهنود».

«حسناً. يمكنك أن تفعل ما تريد، ولكنني لن أعود الى برازيليا الا بعد أن انتهي من العمل الذي حضرت من أجله».

ثم نظرت اليه في تحدّ وهي تضيف:

«انك لن تستطيع التخلص مني بهذه السهولة. فان لويز يؤيدني في موقفي».

ولم يرد ادموند بل رمقها بنظرة تهكمية قبل أن يشيح بوجهه بعيداً.

وبعد أن وصلت السيارة الى منحنى في الممر، دخلت الى منطقة متسعة رأت فيها ديليا ثلاثة أكواخ كبيرة أسقفها على هيئة القباب تحيط بكوخ آخر مستطيل الشكل.

وما أن اقتربت السيارة، حتى خرج عدد من الكلاب الهزيلة من الأكواخ ينبح بشدة، كما جرى عدد من الأطفال العراة يختبئون ولكن ما أن توقفت السيارة

حتى توقف نباح الكلاب وبدأ الأطفال يعودون وهم يحلقون بالسيارة وبالأشخاص الذين نزلوا منها.

وتجمع عدد من الرجال الهنود، وكانوا طوال القامة يطلون وجوههم باللون الأحمر، ويحيطون أيديهم بشرائط من الريش زاهية الألوان. وأخذ الجميع يتحدثون بصوت واحد وبلهجة غريبة، فقالت ريتا تشرح الأمر لديليا:

«انهم يشعرون بقلق شديد لمرض الرجل العجوز. ويريدون من ادموند و مانويل أن يتوجها اليه فوراً. أما نحن فان جيكارو سيصحبنا في جولة داخل القرية.

وأخرجت ديليا من حقيبتها الهدايا التي أحضرتها معها ووزعتها على الهنود الذين تقبلوها بفرح بالغ. وتقدمت سيدة مسنّة، وأخذت بيد ديليا تقودها الى مدخل أحد الأكواخ وهي تشير لها بالدخول.

وكان الجو رطباً ومنعشاً داخل المكان، وقد جلست بعض النساء على الأرض يصنعن السلال. وتدلت في جانبي المكان بعض شباك النوم وقد استلقت عليها سيدتان تحملان طفلين صغيرين.

وقالت ريتا تترجم لديليا حديث جيكارو

«ان حوالى عشرين شخصاً يعيشون في كل كوخ. وكل عائلة لها ركنها الخاص بها، وتقوم بتخزين غذائها ومعدات الصيد الخاصة بها فوق احدى المنصات المقامة في وسط المكان.

وقالت ديليا بدهشة:

«ان الأطفال في منتهى الهدوء. ألا يبكي أحدهم أبداً؟»

فقالت ريتا:

«انني لم أسمع بكاء طفل منذ حضوري الى الأدغال. أعتقد أن السبب يعود للحياة البسيطة التي يعيشها الوالدان. مما يتيح لهما الوقت اللازم لرعاية الأطفال ومنحهم الحب والحنان. لويز يقول يمكننا أن نتعلم منهم فن الحياة،

وأعتقد أنه على حق»

ثم أضافت ريتا بلهجة يشوبها الحزن:

«كم أفتقد أولادي. وأتمنى البقاء معهم. لا أدري ماذا أفعل يا ديليا. هل أترك مانويل وأعود اليهم، أو أحضرهم ليعيشوا هنا ويتعرضوا لخطر الاصابة بالملاريا. انني في دوّامة».

وخرجوا من الكوخ يمشون بحذر بين الببغاوات والدجاج الذي كان يلتقط الطعام من الأرض. وتقدمت السيدة المسنّة احدى السلال هدية لديليا. وعندما وصلنا الى السيارة، كان مانويل و ادموند قد سبقاها اليها، ووقفا الى جانبها يتحدثان مع شاب هندي قوي البنية زيّن شعره بالريش الملوّن. قالت ريتا ان الشاب زعيم القبيلة.

ثم استطردت تكمل حديثها الذي بدأته في الكوخ:

«أعتقد يا ديليا أنك أيضاً تعيشين في دوّامة مثلي تماماً».

نظرت اليها ديليا بدهشة، وهي تتساءل:

«ماذا تعنين بذلك؟ فانا ليس لدي أطفال؟»

«أعرف ذلك. ولكن زوجك مثل مانويل يحب العمل والعيش مع القبائل البدائية. وسمعت أن الاستاذ رودريغيز طلب من ادموند البقاء في بويرتو اورلاندو لأن مراكز رعاية القبائل تفتقر الى الأطباء ذوي الخبرة. واذا قرر ادموند البقاء هنا، فسيكون عليك أن تقرري البقاء معه أو العودة الى انكلترا».

وردت ديليا بصوت هامس:

«فعلاً سيكون عليّ أن أقرر ذلك».

ولكنها كانت تشعر في قرارة نفسها بأن ادموند لا يريدها حتى في زيارة قصيرة. ولذلك من غير المحتمل أن يطلب اليها البقاء معه اذا قرر الاستمرار في عمله.

تأكدت لها هذه الحقيقة أكثر عندما اتخذ ادموند مقعده في السيارة الى جانب مانويل حتى لا يجلس الى جانبها في طريق العودة. انه لا يريدها وهي التي حضرت الى هذه المنطقة النائية علّ أمل احياء شعلة الحب التي خبت، ولكن أصبح واضحاً لها الآن أن هذه الشعلة قد انطفأت ولم تخلف سوى الرماد!

جلست ديليا صامتة في طريق العودة الى المركز، وكانت تشعر بحزن عميق لما وصلت اليه العلاقة بينها وبين ادموند.

وعندما وصلوا الى المركز، كان طعام العشاء معداً. فجلست تتناول بنهم شديد الأرز والفاصوليا، بينما أخذ لويز يحدثها عن البرنامج الذي أعدّه لها خلال الأيام القليلة القادمة. انصتت اليه وهي تراقب وجه ادموند بأنتظار أن يفعل ما هدّدها به وأن يطلب من لويز اعادتها الى برازيليا غداً.

وقال لويز:

«سنذهب الى بينوروس عن طريق النهر غداً. وسيكون بامكانك التمتع بجمال المناظر الطبيعية، ولن نصل الى الموقع الذي تقصده قبل يومين. وفي الطريق سنقضي ليلة في العراء. ويمكنك قضاء يومين في بينوروس قبل العودة الى بوستو أورلاندو للحاق بطائرة الامدادات العائدة الى برازيليا».

ثم أضاف وهو ينظر الى ادموند مبتسماً:

«واثناء اقامتنا في بينوروس، سيمكنكما الذهاب الى احدى القرى المنعزلة حيث تعيش قبيلةمن أغرب القبائل وأكثرها اثارة. وبعد ذلك يمكنك يا ادموند أن تعود الى المدينة من جديد، وتقدّم تقريرك الذي تأمل الكثير من ورائه».

فقال ادموند وهو ينفث دخان سيكارته بقوة ليطرد الناموس:

«أعترف بأنني لا أريد مغادرة بوستو اورلاندو والعودة الى المدينة، فان حياتي هنا وزيارتي لفينيال والأماكن الأخرى كانت تجربة رائعة بالنسبة إليّ. فلأول مرة في حياتي، عشت أيامي كما أردت دائماً أن أعيشها. حياة بسيطة لا تعقيد فيها».

ثم سحب نفساً عميقاً من سيكارته، وهو يضيف:

«لقد شعرت في بعض الأحيان، وخاصة اثناء وجودي في فينيال بأنني أعيش في الجنة».

فضحك لويز وهو يقول:

«لا. ليس الى هذه الدرجة. لقد احتفظنا بالجنة لتدخلها مع زوجتك الجميلة. فان الرحلة الى بينوروس والقرية الأخرى ستكون بمثابة شهر عسل جديد لكما».

ثم التفت لويز الى ديليا قائلاً:

«أعتقد يا ديليا أنك بحاجة الى النوم الآن، وسنغادر الى بينوروس قبل طلوع النهار. تصبحين على خير».

كانت ديليا لا ترغب في الذهاب قبل أن يغادر ادموند المائدة خوفاً من أن يطلب من لويز ترحيلها، ولكنها شعرت بالارهاق الشديد فانسحبت من المكان واتجهت الى غرفتها.

كان الجو حاراً داخل الغرفة، والناموس يتجمع حول المصباح الصغير الذي يضيئها، فاستخدمت ديليا مبيد الحشرات الذي أحضرته معها. وبينما كانت تعد فراشها للنوم، أنطفأ النور فجأة.

تسللت ديليا الى فراشها، ووضعت فوقها الغطاء، ولكنها لم تستطع التخلص من مضايقات الناموس. فأستلقت على ظهرها وهي تسترجع قول لويز شهر عسل ثان. كيف يكون هناك شهر عسل ثان بينها وبين ادموند بعد اتساع الهوة بينهما الى هذه الدرجة؟ وأخذت تحسب الأيام التي قضياها معاً منذ زواجهما قبل حوالى عامين ونصف عام. ووجدت أنها لم تمض مع ادموند بالفعل سوى أربعة أشهر فقط طوال فترة زواجهما. ولذلك فكّرت انه ليس غريباً الا تعرف عنه الكثير او تفهم طباعه، فأنها لم تحاول أن تفهمه خلال الأوقات القليلة التي كان يمضيها معها. واعترفت لنفسها بأنها لم تحاول ذلك بالفعل، فان كل ما كان يهمها هو أن يعود اليها بعد سفره ويعوّضها الحب الذي كانت تفتقده

في غيابه.

وفي المرة الوحيدة الذي عاملها فيها بعنف ودون اعتبار لرغباتها، ثارت وتصرّفت بطريقة طفولية. انها حتى لم تحاول الاستماع اليه وهو يشرح لها الأسباب التي دفعته الى هذا التصرف.

وتنبهت ديليا فجأة على صوت الباب يفتح برفق ثم يغلق، وتراقص ضوء مصباح في ظلام الغرفة، وبدا وكأن ادموند تعثر في حقيبتها الموضوعة بجانب الفراش.

ثم اتجه بعد ذلك الى الحمام حيث سمعته يغتسل، وبعد ان اقترب من فراشها وضع المصباح على المائدة بين السريرين. وسمعت ديليا صوت حذائه وهو يقذف به فوق الأرض، وسمعته وهو يخلع ملابسه، ثم صوت صرير الفراش وهو يستلقي فوقه.

واطفأ ادموند المصباح، وساد الصمت لفترة، ثم سمعت ادموند يهمس قائلاً:

« ديليا، هل أنت مستيقظة؟»

«نعم».

«أريد أن أعرف لماذا طلبت من لويز ألا يخبرني بمجيئك الى هنا؟ قلت انك ستشرحين لي الأمر فيما بعد».

وشعرت ديليا بحلقها يجف فجأة، واضطربت وودّت لو أن لديها الشجاعة لتخبره بالسبب الحقيقي لمجيئها الى بوستو أورلاندو ولكنها كانت تخشى أن يصدها من جديد. فقالت:

«انني. انني كنت أعتقد أنك لو عرفت بأمر حضوري، ستغادر المكان».

«وهل يهمك هذا؟»

«حسناً. نعم. ان هذه المسألة تهم الناس الذين بحاجة الى وجودك معهم، والذين يهمهم أن يصل تقريرك الى المسؤولين في المنطقة التي تعمل معها».

وسألها ادموند بصوت يشوبه اليأس:

«أذلك هو السبب الوحيد؟»

فردّت بلهجة حاولت أن تكون باردة:

«نعم، فان المنطقة التي تعمل معها تريد أن تحصل على هذا التقرير في أقرب وقت ممكن».

«أعرف ذلك. وسأعمل على أن يصلهم التقرير في الوقت المحدد».

«وهل ستعود الى انكلترا؟»

«لا. إلاّ اذا اضطررت».

«ولكن. يا ادموند يجب ان تعود».

«ولماذا أعود؟»

«لتقديم التقرير!»

«يمكنني أن أرسله، بينما أبقى أنا هنا».

فأسرعت ديليا تقول وهي تجلس في فراشها:

«ذلك لن يكون مثل تقديم التقرير بنفسك، فمن المؤكد أن ذلك سيدفعهم للاهتمام به أكثر. وقد طلب مني السيد لويز ابلاغك ذلك».

«هس. اخفضي صوتك، الجدران هنا رقيقة. ويمكن لمانويل و ريتا أن يسمعا حديثنا».

فقالت ديليا وهي تخفض صوتها قليلاً:

«ولكنني لا أهتم بذلك. لماذا لا تريد العودة الى انكلترا؟»

«لأنه ليس لي هناك شيء أعود اليه. أما هنا فلديّ ما أقوم به ومن يحتاج الى وجودي. وكما تعرفين لدي دخلي الخاص ولست في حاجة الى أي أجر».

وشعرت ديليا وكأن خنجراً قد انغرس في قلبها، وصمتت لفترة وهي تحاول التغلب على مشاعر الألم التي اجتاحتها وهي تستمع الى قول ادموند. واندفعت الدموع تتساقط من عينيها وهي تفكر بأنه ربما لا يفكر أبداً في العودة اليها.

ثم قال ادموند وقد بدا عليه أنه يقاوم النعاس:

«على فكرة. طلبت من لويز اعادتك الى برازيليا غداً، ولكنه رفض. لا أعرف لماذا».

ثم سمعته ديليا يتثاءب وهو يتقلّب في فراشه، ويقول لها:

«تصبحين على خير».

ولم تردّ ديليا، كانت تخشى أن يعرف ادموند ببكائها. وبعد فترة استغرق ادموند في النوم. أما هي فلم تنم نتيجة لاضطرابها النفسي والحرارة الشديدة في الغرفة ومضايقات الناموس.

وأخذت تتقلّب في فراشها. ولما لم تتمكن من النوم، مدّت يدها الى المصباح فأضاءته وسارت على أطراف أصابعها حيث اتجهت الى المقعد الوحيد الموجود في الغرفة وأخذت حقيبة يدها وأخرجت منها شريطاً من الحبوب المهدئة. وفي طريقها الى فراشها، قربت المصباح من فراش ادموند فرأته ينام شبه عار، فتخلّصت بدورها من ثيابها للتغلب على حرارة الجو ثم تناولت واحدة من الحبوب واستلقت في فراشها. وسرعان ما راحت في سبات عميق.

واستيقظت ديليا فجأة، وهي تشعر بيد توضع فوق كتفها وتهزها برفق، وسمعت صوتاً يناديها. ثم شعرت بالغطاء يسحب من فوقها ففتحت عينيها في فزع، وجذبت الغطاء لتلفه حول جسدها العاري.

ونظرت حولها فوجدت الغرفة تسبح في ضوء النهار، وقف ادموند الى جانب فراشها ينظر اليها وقد ارتدى ثيابه كاملة:

فسألته في خشونة:

«لماذا سحبت الغطاء عني؟»

«لأن هذه هي الوسيلة الوحيدة لايقاظك فوراً. لدينا موعد هذا الصباح للذهاب الى بينوروس، وقد حان الوقت لتستيقظي وتعدّي حقيبتك».

ثم انحنى فوقها وهو يتفحص عينيها، وقال:

«تبدين كأنك أفرطت في الشراب. ولم تستيقظي على الفور عندما حاولت ايقاظك. انك تبدين كالمخدرة».

ثم سألها بحدّة وهو ينظر الى المائدة:

«هل تناولت شيئاً من هذه الحبوب الليلة الماضية؟

«نعم، كنت أشعر بالصداع ولم أتمكن من النوم».

«هل اعتدت على تناولها؟»

«لا. انني أتناولها فقط عندما ينتابني القلق».

وجلس ادموند الى جوارها فجأة، وأمسك برسغها ليكشف على نبضها وهو ينظر في ساعته.

شعرت ديليا بما يشبه الدوار وهي تحس بلمس أصابعه على رسغها، ورائحته التي طالما اشتاقت اليها تنفذ الى أنفها، وصدره البرونزي من فتحة قميصه الأزرق الباهت. ثم تنبّهت فجأة الى أنها عارية، فأحكمت الغطاء حول صدرها وهي تقاوم رغبة عنيفة في ازاحته جانباً والارتماء في أحضان زوجها.

وجعلها ذلك ترتجف، فسألها:

«ماذا بك الآن؟»

«لا. لا شيء... انني بخير. واياك أن تقول غير ذلك يا دكتور تالبوت».

فقال ادموند بسخرية وهو يترك رسغها:

«ان من يرى الطريقة التي ترتجفين بها وأنا أكشف عليك، يعتقد أنك لم تذهبي الى عيادة طبيب طيلة حياتك. نبضك مضطرب وهذا طبيعي بعد تناول هذه الحبوب التي لن تتناوليها بعد الآن».

ثم وقف ادموند وتناول الحبوب من فوق المائدة، وهو يقول:

«ان امرأة في مثل سنك لا تتناول مثل هذه الحبوب لتتمكن من النوم. من وصفها لك؟»

«طبيب في لندن».

«لماذا؟ هل كنت مريضة؟»

ثم جلس بجانبها من جديد وهو ينظر اليها بقلق، فجاهدت لتمنع نفسها من القاء رأسها على كتفه لتقول له ما حدث لها.

وقالت بصوت منخفض:

«الى حد ما».

«ماذا تعنين بذلك؟»

«لن أخبرك بشيء. انه... انه شيء لا يهمك».

«بل يهمني. ارجو أن تخبريني».

ودفعت ديليا رأسها الى الخلف وهي تقول:

«ولماذا أخبرك. انك لا تخبرني بأي شيء عن نفسك. وبأية صفة تريد أن تعرف هل بوصفك طبيباً أم بوصفك زوجي؟»

وبرقت عيناه كأنه تلقى صفعة على وجهه، ولكنه عاد يسألها:

«هل شعرت بالمرض في الفترة الأخيرة؟»

فأجابت بعناد:

«لن أقول لك شيئاً».

وساد التوتر بينهما، وجلسا يحدقان أحدهما في الآخر، ثم نهض ادموند فجأة وابتعد عنها وهو يقول:

«حسناً. كما تشائين. ولكنك لن تأخذي هذه الحبوب بعد الآن».

وقبل أن تتمكن من الاعتراض، أسرع الى الحمام حيث ألقى بالحبوب في الحوض وأطلق عليها الماء.

فنهضت ديليا مسرعة، ووضعت رداءها، وجرت خلفه تحاول منعه، ولكنها لم تتمكن. فقالت بعصبية:

«ليس من حقك أن تفعل هذا».

«بالطبع من حقي أن أفعل لسببين: أولاً كطبيب وثانياً كزوجك».

ثم خرج من الحمام وهو يقول:

«سأتأكد من انه ليس لديك المزيد من هذه الحبوب».

فاندفعت خلفه من جديد، ولكنه كان قد سبقها الى حقيبة يدها التي قلب محتوياتها على المائدة. حاولت جذب الحقيبة من يده وهي تقول بتوتر:

«انك... انك كيف تجرؤ؟»

ولم تتمكن من الكلام بسبب انفعالها، فتركها واتجه الى حقائب سفرها التي أفرغ محتوياتها، فصرخت قائلة:

«ليس لديّ المزيد من الحبوب المنومة. أرجوك أن تترك حقائبي».

وتجاهلها ادموند ومضى في تفتيش الحقائب. ولمّا تأكد من عدم وجود شيء بها، وضع الأشياء فيها من جديد بدون أن يهتم بترتيبها.

فصرخت ديليا قائلة:

«انظر الى الفوضى التي أحدثتها».

وانحنت على ركبتيها لترتيب الحقائب، ولكن ادموند نظر اليها قائلاً:

«يمكنك أن تفعلي ذلك بعد تناول الافطار. ولا تنسي أن تلبسي حذاءك الطويل».

وانحنت ديليا لتلبس حذاءها وهي تقول:

«ما كنت أعرف أنك بمثل هذه السطوة».

فالتفت اليها قائلاً ببرود:

«حسناً. انك تعرفين ذلك الآن. أنا ايضاً لا أعرف عنك أشياء كثيرة. ولذلك فان الأيام القليلة القادمة ستكون مثيرة لأننا سنتعرف الى بعضنا بعضاً. أليس كذلك؟ والآن تعالي لنأخذ قدحاً من القهوة».

وتغلّبت رغبتها في تناول القهوة على رغبتها في تحدّي ادموند فتبعته الى خارج الغرفة، وكانت أشعة الشمس قد بدأت تملأ الكون، وبدا وكأن السماء قد أمطرت اثناء الليل. ونظرت ديليا فلم ترَ أحداً. فقالت:

«اعتقدت أننا سنبدأ الرحلة في الفجر. والساعة الآن قد جاوزت الثامنة».

فقال ادموند وهو يبتسم ابتسامة خفيفة:
«ان لويز يعني بالفجر مرور أربع أو خمس ساعات على البزوغ. الوقت هنا لا يعني شيئاً لأننا لسنا مقيدين بمواعيد قطارات او عربات».
ثم نظر اليها متفحصاً وهو يضيف:
«ربما أفادك البقاء هنا بضعة أيام لتتخلصي من هذا التوتر الشديد الذي تعانين منه».
وفكّرت ديليا فيا يمكن أن يقوله ادموند لو عرف أن هذا التوتر سببه قلقها الشديد عليه، وحزنها على هذه النهاية التي وصلت اليها علاقتها.
فقالت في تحد:
«أعتقدت أنك لا تريدني أن أبقى هنا».
«كان ذلك بالأمس. أما اليوم فالمسألة تختلف. فأنت هنا بالفعل وستذهب الى الرحلة معاً. وليس الأمر بيدي لأغير هذا البرنامج».
وهزّ ادموند كتفيه، وابتسم لها ابتسامة حقيقية لأول مرة منذ حضورها الى بوستو أورلاندو، ثم أضاف:
«دعي كل شيء للقدر. وعلى فكرة. هل أحضرت معك رداء يغطي ذراعيك لأنك ستكونين في حاجة اليه لحمايتك من أشعة الشمس الحارقة فوق المركب».
وبدا لديليا التناقض واضحاً في كل ما يقوله ادموند فكيف يريد منها ألا تبقى معه، في الوقت الذي يظهر فيه قلقه عليها كما لو كان مسؤولاً عنها؟
ونظرت اليه ديليا خلسة. لقد تغيّر وجهه قليلاً خلال العام الذي قضاه في الأدغال، وظهرت التجاعيد فبدا وكأنه تقدّم في العمر، ورأت وجهه اكثر حزناً وهدوءاً. انها لم تر وجهه حزيناً من قبل. فماذا حدث؟ هل يعود هذا الحزن الذي تراه مرتسماً أيضاً على وجه لويز الى حياتهم وسط هذه القبائل البدائية التي تعاني من الظروف المعيشية الصعبة؟ أو ربما تعود مسحة الحزن على وجه ادموند الى حادث الطائرة الذي راحت ضحيته انغريد.

ووجدت ديليا نفسها تسأل ادموند:
«أين فينينال؟»
«انها الى الغرب من هنا. وهي جزيرة في وسط نهر متسع وتعتبر جزيرة عذراء في غاية الجمال. تم اكتشافها منذ بضع سنوات فقط».
«لماذا وصفتها بالجنة؟»
«لأن الحياة عليها بسيطة للغاية. كنا منعزلين تماماً عن العالم الخارجي. ولم يعد الوقت له معنى بالنسبة إلينا».
ثم تنهّد ادموند وهو ينظر الى بعيد وكأنه يرى شيئاً لا يمكنها رؤيته.
فسألته ديليا وقد بدأت تشعر بالغيرة من جديد:
«هل كانت انغريد تشاركك هذا الشعور؟»
«ربما».
ثم نظر اليها في حيرة وهو يضيف:
«على الرغم من انني لم أسمعها ابداً تقول ذلك».
«كيف كانت تبدو؟»
فرفع ادموند حاجبيه وهو يتساءل:
«ما هذا؟ هل هو تحقيق صحفي للمجلة؟ وهل تفيدك أية معلومات عن انغريد في كتابة مقالاتك عن الأدغال».
فشعرت ديليا بالحرج، وتصاعدت الدماء الى وجنتيها لتفضح سر اهتمامها بانغريد.
وضاقت عينا ادموند، ثم نظر الى أسفل وتنهّد وهو يقول:
«حسناً. سأقول لك كل شيء عنها. كانت صغيرة الحجم ورقيقة للغاية. وشعرها أشقر وقصير يتهدّل على جبينها، وكانت تتخلله بأصابعها وتدفعه الى الخلف عندما تكون منفعلة».
ثم أسند ادموند مرفقه الى المائدة ووضع يده على عينيه، وهو يقول:

«كانت جميلة من كل النواحي. ولقد أحببتها أنا ونبل».

وصدمت ديليا لدى سماعها ذلك، ولم تدر ماذا تفعل فمدّت يدها في عصبية لتأخذ سيكارة أشعلها لها ادموند وهو ينظر اليها فيا يشبه العتاب:

«أليس هذا ما أردت معرفته. أليس كذلك؟ تماماً كما أردت أن تعرفي ما حدث بيني وبين مارشا وما إذا كنت أراها جذابة أم لا. حسناً أنت تعرفين الآن أنني أحببت انغريد كما أحبها كل شخص عرفها. ولكن ذلك لا يعني أنني ذهبت معها الى الفراش او كانت تربطني بها قصة حب. لقد كنا اصدقاء نعمل معاً ونعيش في نفس المكان. واذا كنت تريدين المزيد من التفصيلات، فأعرفك أن انغريد كانت تكبرني بحوالى اثني عشر عاماً. والآن هل تريدين معرفة شيء آخر. أم يمكن لخيالك الخصب تصوّر الباقي؟»

وشعرت ديليا بأنها تنهار وهي تستمع الى ادموند ، وأحسّت بمهانة لم تشعر بها من قبل، ولكنها قالت في تحد:

«ان خيالي ليس خصباً مثل خيالك الذي صوّر لك مرة وجود علاقة بيني وبين بيتر».

«من الممكن أن تكون هذه العلاقة موجودة الآن ايضاً. أنسيت أنني كنت أستند الى حقيقة ملموسة. لقد رأيتكما بعيني تتبادلان الحب».

«لم نكن نتبادل الحب».

«اذاً ماذا كنتما تفعلان بحق الجحيم؟»

«لقد حاولت أن أشرح لك الأمر، ولكنك لم تنصت اليّ».

«وبعد أن تركتني وخرجت من المنزل، سمعت القصة كلها من حبيبك شخصياً».

«من بيتر؟»

«نعم من بيتر. ذهبت اليه في المساء لأرى ما اذا كنت قد ذهبت اليه».

ثم توقف ادموند ليشعل سيكارة أخرى، فقالت ديليا تستحثه على

الحديث:

«وماذا قال لك؟»

«بدت عليه الدهشة وأنا أسأله عنك. ولكنه كان لطيفاً معي، ودعاني للدخول لأنه كان يريد التحدث معي بوصفنا صديقين متحضرين. وأفهمني بطريقة هادئة وعملية بأنه كان من الجنون لشخص غير مستقر مثلي أن يتزوج».

ثم أمسك ادموند بذقنها ونظر اليها في تهكم وهو يقول:

«وافقته على ذلك بالفعل. لقد كنت مجنوناً حقاً عندما تزوجتك».

فسألته ديليا:

«هل هذا هو كل ما قاله؟»

«لا. قال لي بصراحة انك غير سعيدة».

«وأنت. هل صدّقته. كيف يمكنك ذلك يا ادموند؟»

«لم يكن من الصعب عليّ أن أصدّقه بعد ما حدث بيننا في غرفة النوم. لقد قاومتني وكأنني شخص غريب عنك وليس زوجك الذي عاد بعد غياب عدة اسابيع قضاها في عزوبية مريرة».

نظرت اليه ديليا بأسى. فابتسم وهو يضيف:

«نعم، كنت دائماً مخلصاً لك وأنا بعيد عنك».

«كنت خائفة. وكنت غاضباً. ولم ارك من قبل في مثل هذه الحالة».

توقّفت ديليا عن الحديث وفكّرت لو تصارحا هكذا منذ خمسة عشر شهراً. ما حدثت هذه القطيعة بينهما.

ثم انتبهت لصوت ادموند قائلاً:

«كنت أعتقد، في ذلك الوقت، ان من حقي الغضب».

ثم ضحك متهكماً واضاف:

«لقد تصرفت بالطريقة التقليدية لأول مرة في حياتي. كرجل في الازمنة البعيدة يعود الى منزله ليفاجأ بزوجته بين ذراعي عشيقها».

فصاحت ديليا مؤكدة:

« بيتر لم يكن عشيقي».

«بالنسبة له، كان الوضع يختلف».

«كان يكذب عليك. صدّقني يا ادموند. قبلت الخروج معه لأنه أكد لي أنك طلبت منه ذلك. هل طلبت اليه ذلك بالفعل؟»

«ربما قلت له ذلك بطريقة عارضة. ولكنني لم أطلب منه أن يقوم بدور الزوج. كانت هذه فكرته هو. ولم تضايقني في البداية. ولكن بعد أن رأيتكما معاً وجدت نفسي فجأة في موقف كنت قد قررت دائماً أن أتحاشاه».

ثم نظر اليها نظرة جامدة، وهو يضيف بمرارة:

«نفس الموقف الذي رأيت أبي يقفه مرتين!»

فشهقت ديليا، وقالت:

«تعني ان والدتك».

ثم وضعت يدها على فمها وهي تضيف:

«لم أكن أعرف».

«بالطبع لم تعرفي. لأنني لم أخبرك بذلك».

«ليتني عرفت ذلك من قبل. لو كنت عرفت. فربما فهمت سبب غضبك الشديد. ولكن كيف يخبرك بيتر بأنني لم أكن سعيدة. وهل أخبرك لماذا؟»

«قال انك كنت تتوقعين شيئاً أكثر من زواجك بي. وقال انك في حاجة الى زوج مثله يعود الى المنزل في الخامسة من كل مساء، ويشتري لك منزلاً جميلاً، ويمنحك اطفالاً».

«ثم انفجر ضاحكاً وهو يتابع:

«يا للجحيم. لقد ألقى عليّ محاضرة عدد لي فيها كل ما أفتقر اليه، حتى أنني بعد الاستماع اليه اقتنعت بأنني ارتكبت خطأ بزواجي منك. وقررت الخروج من حياتك بأسرع وقت ممكن. وهذا ما فعلته».

وقالت ديليا بتعاسة:

«ما كان يحق لبيتر أن يقول لك ذلك. وأنت. أنت كيف تصدقه تذهب هكذا بدون ان تقول لي شيئاً. اوه يا ادموند لماذا فعلت ذلك؟»

فقال بلهجة ساخرة:

«هجرتك يا عزيزتي. لكي أسهّل لك الحصول على الطلاق. ألم يخبرك بيتر بذلك»

ثم نهض ادموند واقفاً وهو يقول:

«سأذهب الآن لأمر على المرضى. فاذهبي الى الغرفة لتعدي حقائبك».

وخرج ادموند، فجلست ديليا تحتسي ما تبقى في قدح القهوة وهي تفكر في كل ما قاله الآن وضح لها السبب الذي دفع ادموند الى هجرها، لقد أقنعه بيتر أعز أصدقائه، بأنها لا تريده. ولكنه ما كان ليصدّق ذلك لولا موقفها منه في غرفة النوم.

ووضعت ديليا رأسها بين يديها في أسف وحسرة وهي تتذكر الطريقة التي تصرّفت بها مع ادموند.

ولكن ماذا يمكنها أن تفعل الآن؟ وكيف تثبت لادموند أسفها على ما حدث؟ وكيف تتقرب اليه وقد بدا أنه لم يعد يحبها؟ وكيف يمكنها اصلاح ما أفسده بيتر؟ ثم ردّدت كلمات ادموند لها. دعي كل شيء للقدر. انا ايضاً لا أعرف عنك اشياء كثيرة. ستكون الأيام القادمة مناسبة لنتعرف على بعضنا أكثر. وفجأة ابتسمت ديليا بثقة وذهبت لأعداد حقائبها.

٤ ـ الليل في الغابة

بدأت الرحلة الى بينوروس، واستقل الجميع قارباً طويلاً. وضع المحرك في المنطقة الوسطى منه، وغطي بسقف استند الى قوائم خشبية.

ووضعت الأمتعة والامدادات الطبية في المنطقة المسقوفة التي وضع فيها أيضاً مقعدان خشبيان طويلان لجلوس الركاب.

جلس لويز و أدموند على المقعدين يتحدثان، وقد بدا عليهما الاهتمام الشديد، فيما توجهت ريتا و ديليا الى السطح العلوي للمركب حيث جلستا تحت أشعة الشمس، اما مانويل و جيكارو و ميجاي وكلاهما من بينوروس فكانوا يتبادلون قيادة المركب.

كان النهر متسعاً، وبدت مياهه داكنة، ولكن سرعان ما تغيرّ لونها الى اللون الأخضر بعد أن التقى النهر بنهر آخر.

وسألت ديليا ريتا، عن السر في تغير لون المياه.

فقالت ريتا توضح لها الأمر:

«يوجد في الأدغال نوعان من الأنهار. النوع الأول يطلق عليه النهر الأسود والنوع الثاني يطلق عليه النهر الأبيض. وهذا النوع الأخير تسبب مياهه الأمراض، لأن فيه حشرات كثيرة. ومن المحتمل جداً أن تصابي بالملاريا اذا لدغتك بعوضة وأنت تمرين بهذا النهر. وأرجو الا تكوني نسيت تناول الحبوب اليوم».

كانت ديليا قد نسيت تناول حبوب الملاريا بالفعل، فبحثت في حقيبتها، وأخرجت بعضاً منها، ولكنها لم تجد ماء لتتناولها فقالت لها ريتا أن جيكارو سيعدّ القهوة حالاً ويمكنها أن تبتلع معها الحبوب.

كان المنظر رائعاً من حولهم وقد انساب المركب في رفق فوق سطح الماء، وأحاطت بهم من الجانبين الأشجار الكثيفة. وامتدت الخضرة على طول ضفتي النهر. وكانت بعض المناطق تتكوّن من الصخور الحمراء.

وفي المناطق المتسعة من النهر، كانت الشواطئ، تبدو رملية. وكان يمكن رؤية التماسيح وهي ترقد تحت أشعة الشمس، ثم تهرب عائدة الى الماء عند اقتراب المركب.

وفي هذه اللحظة، توقف محرك المركب. وأخذ مانويل في اصلاحه. ونظرت ديليا في رجاء الى ادموند الذي صعد الى السطح ليجلس بجانبها، وسألته:

«هل يمكننا السباحة في هذه المياه؟»

فقال لويز:

«لا. لأنها مليئة بأسماك البيرانها المتوحشة».

فردّ ادموند:

«ولكننا في فيتنال كنا نسبح في الأنهار التي تكثر بها هذه الأسماك».

فقال لويز:

«لكنني لن أسمح لكما بالسباحة هنا».

فردّت ديليا بسرعة وقد أفزعتها فكرة وجود مثل هذه الأسماك المتوحشة:

«المسألة لا تهم. فهل هناك من وسيلة أخرى لتخفيف حدّة الحرارة؟»

فقالت ريتا:

«يمكنك ارتداء لباس السباحة وتملأ دلوا بمياه النهر نرطب به أجسامنا».

فصاحت ديليا مستحسنة هذه الفكرة. وسرعان ما خلعت ثيابها التي كانت ترتدي تحتها لباس البحر.

وأخذت هي وريتا تتبادلان صب الماء فوق جسديهما وهما تضحكان:

وتتازحان. وبدأت ديليا تشعر بالانتعاش، وأقبلت في شهية على تناول الطعام الذي كان مكوّناًمن المعلبات والشطائر والقهوة.

وبدأ المحرك في العمل من جديد، وانطلق المركب، واستلقت ديليا تحت أشعة الشمس واضعة فوق بشرتها طبقة من الزيت الخاص بحمام الشمس على أمل اكتساب اللون البرونزي، الجذاب مثل ريتا.

وفجأة شعرت ديليا بحركة الى جانبها، فرفعت رأسها لترى ادموند يجلس بقربها ويدلي بساقيه في مياه النهر.

ثم قال بصوت منخفض حتى لا يسمعه الآخرون:

«بشرتك ستحترق وقد تصابين بضربة شمس».

ثم ألقى بثوبها اليها، وهو يضيف:

«امن الضروري أن أرشدك دائماً الى ما يجب عليك عمله كما لو كنت طفلة صغيرة!»

ونظرت ديليا اليه وقد بدت في عينيه نظرة قاسية. ومرة أخرى شعرت بموقفه العدائي منها، فانتابها شعور باليأس بعد ان كانت معنوياتها قد ارتفعت الى درجة كبيرة.

فردّت بغضب وهي ترتدي رداءها:

«لا. ليس من الضروري ذلك. لست ملزماً بأن تفعل أي شيء من أجلي. يمكنني العناية بنفسي. لأنني أعرف تماماً أنك لا تحب تحمل المسؤولية. على الأقل مسؤوليتي. وهذا هو السبب بعدم رغبتك في الزواج. أليس هذا صحيحاً؟ أنت تخشى أن تخضع لأي التزام أو أن تهتم بشخص آخر بخلاف شخصك».

«حسناً. حسناً. لقد فهمت أخيراً كل شيء. ومن المؤسف حقاً أنك لم تفهمي ذلك قبل ارتباطك بي. لقد أسأت الاختيار يا ديليا فانني لست من الطراز المطلوب. ولكنني عندما تزوجتك حاولت فعلاً أن أهتم بك».

فقاطعته ديليا ساخرة:

«يتركك وحيداً لعدة أشهر بدون أن تحاول حتى الاتصال بي».

«يا ديليا كنت أعتقد. بل كنت آمل أن تفهمي أنت، وأنت بالذات طبيعة عملي خاصة أن والدك كان يؤدي بدوره هذه الرسالة».

«ولكنه كان يأخذ والدتي معه أينما ذهب حتى بعد ولادتي».

«وقد توفيت والدتك بعد اصابتها بحمى غامضة عندما كانت في أدغال الكونغو».

فالتفتت ديليا اليه بعصبية تسأله:

«من قال لك هذا؟»

«مارشا في اليوم الذي التقيت بك لأول مرة. وهي تعتقد أن والدك مسؤول عن وفاة والدتك».

«أعرف ذلك، وأعرف أنها تكره والدي. وكانت تردّد دائماً انه ضحّى بوالدتي في سبيل مثاليته».

«هذا ما قالته لي بالفعل. وأنا لا أريد أبداً أن يوجّه اليّ مثل هذا الاتهام في يوم من الأيام».

وصمتت ديليا قليلاً وهي تنظر الى النهر، وقد انعكست عليه أشعة الشمس القرمزية وهي تغرب، ثم قالت:

«على الأقل. أتاح والدي لوالدتي فرصة الاختيار، لأنه كان يحبها. وأنت لم تمنحني مثل هذه الفرصة».

فسألها ادموند بانفعال:

«هل تعنين انني لا أحبك. وأنني لم احبك ابداً».

فهمست بالايجاب وهي تنتظر في رجاء أن ينفي ذلك، ولكنه سألها:

«اذا كنت تعتقدين ذلك، فلماذا أنت متمسكة بزواجنا. ولماذا لم تطلبي الطلاق. ولماذا بحق الجحيم حضرت الى هنا لتفرضي وجودك على حياتي من جديد؟»

ثم أضاف بانفعال شديد:

«يا إلهي، كم أتمنى لو أنك لم تحضري».

وشعرت ديليا في هذه اللحظة وكأنه وجه اليها صفعة قاسية، وانطلقت رغماً عنها صيحة، ولكن أحداً لم ينتبه اليها، فقد التفت الجميع في هذه اللحظة الى ميكاي الذي صاح مشيراً الى شاطىء رملي يحيط بخليج ضيق. ووجه جيكارو المركب باتجاه الشاطىء.

والتفتت ديليا من جديد الى ادموند قائلة:

«لقد حضرت الى هنا بناء على رغبة بن ديفيز».

وأضافت وهي تغالب الدموع التي بدأت تتجمع في عينيها والتي أخفتها نظارة الشمس:

«وكما ترى لا يمكنني تغيير شيء. اذا كنت تشعر أن وجودي يضايقك. ولكن الأمر لن يطول وأرجوك الا تكلف نفسك عناء أمر العناية بي، فأنني أعرف كيف أعتني بنفسي بدون الحاجة الى مساعدتك ولقد تعودت على ذلك منذ فترة طويلة».

وتركته ديليا، وانسحبت. وكانت الشمس قد غربت، وبدأ الظلام يعمّ المكان بالتدريج. وبدأ القمر يظهر من بين الأشجار.

ودخل جيكارو بالمركب الى الخليج، وهبط ميجاي لربط المركب في احدى الأشجار الضخمة حتى لا تجرفه المياه.

ونزل الجميع الى الشاطىء في قارب صغير يتسع لثلاثة أشخاص فقط على دفعتين، وقد حملوا معهم ما سيحتاجون اليه، لقضاء ليلتهم على الشاطىء.

وقاد جيكارو وميجاي الجمع في الطريق وسط الأشجار الكثيفة حتى وصلوا الى منطقة متسعة قليلاً توجد على أرضها كتلة كبيرة من الخشب تصلح للجلوس عليها.

وبينما أخذ جيكارو و ميجاي يجمعان الخشب لاشعال النيران، أخذ ادموند و مانويل في وضع شباك النوم بين الأشجار. وبعد أن انتهى جيكارو من اشعال النيران، استقل القارب الصغير ليصطاد السمك.

وتبعته ديليا لتراقبه وهو يصطاد، ورأته يلقي بحبل طويل تدلى في نهايته طعم الى الماء، وما هو الا قليل حتى تعلقت سمكة كبيرة بالطعم. عرفت ديليا أنها من نوع البيرانها.

وذهب ادموند بدورة للصيد. وطلبت ريتا من ديليا احضار بعض الماء من النهر لاستخدامه في طهي الطعام.

ولاحظت ديليا أجساماً طويلة تطفو في هدوء تام في الماء متجهة الى الشاطىء. واكتشفت أنها تماسيح، فألقت بالدلو وهي تبتعد في ذعر.

ثم عادت من جديد لالتقاط الدلو، ولكن أحد التماسيح اقترب من الشاطىء، فتراجعت بسرعة في الوقت الذي عاد فيه جيكارو و ادموند بالقارب الصغير.

وأسرعا بالقاء صيدهما من السمك، والتقط ادموند بندقيته واتجه الى الشاطىء، فصاحت ديليا تسأله عما ينوي فعله.

فقال لها:

«سأحاول اصطياد التمساح الذي كان يريد التهامك. تعالي لتري كيف اصطاده».

ولم تكن ديليا تريد أن تذهب معه، ولكنها تبعته قائلة أن ذلك قد يفيدها في كتابة مقالاتها.

ووقفت ديليا في القارب تمسك بيدها المصباح الذي وجهت ضوءه الى حيث يوجد التمساح. وما أن ظهر رأسه فوق الماء حتى أطلق ادموند الرصاص عليه، وأسرع بمساعدة جيكارو يسحبه الى القارب قبل أن يغوص في القاع. واتجهوا الى الشاطىء بصيدهم الثمين.

وقطع ميجاي ذيل التمساح ونزع جلده وأعدّه للطهي.

وجلست ديليا فوق كتلة الخشب، فصاح ادموند بها قائلاً:

«لا تجلسي عليها فإنها مليئة بالنمل».

فقفزت مذعورة وهي تقرب المصباح من كتلة الخشب، فوجدتها مليئة بالنمل الأسود الكبير.

وتقدّم ادموند منها حاملاً زجاجة مبيد الحشرات وهو يقول:

«اذا كنت تريدين الجلوس عليها، رشيها أولاً بهذا المبيد، ويجب أن تحرّكي قدميك طوال الوقت حتى تبعدي النمل عنها لأنه يلدغ».

وأطاعته ديليا وهي تشعر أنها لا بد أن تتعلم الكثير عن الحياة في الأدغال قبل أن تعيش فيها. وكانت مصمّمة على أن تثبت لادموند أنه يمكنها ذلك مثله تماماً ما دامت هذه هي الوسيلة الوحيدة لاثبات مقدار حبها له ورغبتها في البقاء معه.

وجلس الجميع يتناولون طعام العشاء. وبعد أن انتهوا منه سريعاً، صعد لويز الى فراشه المعلّق واستغرق في النوم فوراً. أما ريتا و مانويل فسارا معاً الى الشاطىء، وقد لف مانويل ذراعه حول خصرها.

وشعرت ديليا بالألم وهي تنظر اليهما. والتفتت تبحث عن ادموند ولكنها لم تجده، فاعتقدت أنه يريد الاختلاء بنفسه خاصة بعد أن تعوّد البعد عنها.

ولم يكن أمام ديليا ما تفعله سوى الصعود الى فراشها المعلّق. ولكنها لم تستطع النوم قبل أن تغتسل. فالتقطت منشفتها وقطعة صابون من حقيبتها واتجهت الى النهر.

سارت ديليا في حذر تتلمس خطواتها خوفاً من الثعابين، تزيح النباتات المتسلّقة التي تعترض طريقها، وهي تستمع الى سيمفونية الليل في الغابة من حولها. وقد اختلطت صيحات الطيور بأصوات الحشرات ونقيق الضفادع الى جانب أصوات أخرى كثيرة لم تستطع تمييزها.

ووصلت الى الشاطىء، فتنفّست ديليا بعمق وهي تشعر بالسعادة وتلاشى خوفها تماماً حين نظرت الى انعكاس ضوء القمر الذهبي فوق النهر. ووقفت على

رمال الشاطىء، وهي تخلع ثيابها ومحتفظة بحذائها. ترددت قليلاً وهي تنظر الى النهر، ثم خلعت رداء استحمامها أيضاً مطمئنة الى ان أحداً لن يراها. وانطلقت في اتجاه النهر عارية تماماً حيث غمرت جسدها بالماء ثم بدأت في الأغتسال بالصابون. وبعد أن انتهت من ذلك توغلت في النهر قليلاً لتغمر المياه جسدها. وأخذت تقفز ثم تغطس في الماء بسعادة.

ووقفت للحظات تنظر الى القمر وقد راعها منظره، إلاّ انها شعرت بنوع من الحزن لأن ادموند لم يكن معها يشاركها الاحساس بجمال هذا المنظر المحيط بها.

وانتبهت ديليا الى أشياء تتحرك على ساقيها وذراعيها فنظرت لترى في ضوء القمر المئات من الأسماك الدقيقة المتعلقة بأطرافها. فأسرعت تحرك ساقيها وذراعيها بعنف لتتخلص منها.وبسرعة اتجهت الى الشاطىء. ولكن قدمها وطأت شيئاً لزجاً فسقطت في الماء.

وجاهدت لتقف على قدميها من جديد. وفي هذه اللحظة رأت جسماً طويلاً يسبح في الماء متجهاً اليها بدا شكله مرعباً في ضوء القمر، فصرخت وهي تبتعد مسرعة ولكنها سقطت من جديد فوق الشاطىء.

وعندما تمكّنت من الوقوف على قدميها، رأت شبحاً طويلاً يقف امامها فسقط قلبها بين قدميها، وصاحت قائلة:

«من هناك؟»

فجاءها صوت ادموند غاضباً:

«أنا. ما هذا الذي تفعلينه؟»

وبالرغم من رنة الغضب الواضحة في صوته، الا أن ديليا شعرت بالراحة لأن أحداً غير ادموند لم يرها وهي تغتسل عارية تماماً. واتجهت ناحيته حذرة وهي تقول:

«كنت أغتسل ولكن قدمي تعثرت في شيء فسقطت».

ونظرت ديليا خلفها فرأت تمساحاً آخر يتجه اليها، فصرخت قائلة:

«ان واحداً آخر يطاردني من جديد».

فمد لها ادموند يده يساعدها للابتعاد عن الماء وأمسك برسغها بقوة ووقفت أمامه والماء يتساقط من جسدها فوق رمال الشاطىء.

وهمس قائلاً وهو ما زال ممسكاً بيدها:

«يا لك من غبية. كيف تخلعين ثيابك هكذا وتنزلين الى النهر؟»

«كنت أريد الاغتسال. ولم أكن أنوي البقاء طويلاً. شعرت بالسعادة لولا هذه الأسماك الصغيرة».

فسألها باهتمام:

«أية أسماك؟ وأين هي؟ أنت متأكدة أنها أسماك وليست دود علق؟»

«على ساقي».

ووضع ادموند يده فوق ساقها لازاحة دود العلق عنها. فأحست ديليا بالرعشة تسري في كيانها. لم تكن خائفة ولكنها ارتجفت للمسات يده التي كانت في أشد الحنين اليها.

ووقف ادموند وهو يقول:

«لم يعد هناك دود علق على ساقك الآن. لقد رأيتك وأنت تسقطين».

«رأيتني؟ منذ متى وأنت تقف هنا؟»

«منذ فترة طويلة. رأيتك تغادرين المعسكر، وعندما تغيبت لفترة طويلة قررت البحث عنك. كان يجب أن تعرفي أنه ليس من المفروض أن تتجولي وحدك في مثل هذا المكان. ولماذا لا تذهبي الى فراشك من دون الاغتسال ولو لمرة واحدة؟ ألا تستطيعين التخلي عن عاداتك؟»

وشعرت ديليا بيأس، لأن محاولاتها لاظهار قدرتها على العيش في الأدغال لم يكتب لها النجاح. فنظرت الى ادموند وهي تقول بصوت هامس:

«انني آسفة».

وأحسّت فجأة بأنها لا تستطيع مقاومة رغبتها في الارتماء بين أحضان ادموند ومبادلته الحب. وتملكتها رغبة عنيفة في أن تلتصق بجسده، فاندفعت ناحيته وقد غاب عن ذهنها أنها تقف عارية تماماً. لكنه تراجع الى الخلف وسلط ضوء المصباح على ملابسها الملقاة على الشاطىء، وانحنى فالتقط قميصها، وقدّمه لها قائلاً:

«خذي! ارتدي هذا».

وقبل أن تتمكن من أخذه، وضعه فوق رأسها بعنف ليساعدها على ارتدائه، ولكنها فقدت توازنها فأمسكت بقميصه حتى لا تقع على الأرض. فأسقط ادموند المصباح من يده، وأسرع بوضع يديه حول خصرها لمساعدتها على الوقوف.

لم تستطع ديليا مقاومة رغبتها في الاقتراب منه، فالتصقت به. وشعرت بقبضة يديه حول خصرها تسترخي، ثم أخذ يحرك يديه برفق يتحسس ظهرها وهو يضمها اليه لتلتصق به. وامتدت يدها بشوق تتحسس صدره وعنقه ورفعت اليه وجهها وأغلقت عينيها وانفرجت شفتاها في نداء صامت. فهمس قائلاً:

«هذا جنون!»

وكان لقاءً عنيفاً، صنعته الظروف المحيطة بهما، ولكنه انتهى سريعاً حين ابتعد عنها ادموند فجأة وهو يرتجف ويتنفس بصوت مسموع.

وترنحت ديليا وتعثرت قدمها وهي تطأ شيئاً لزجاً، فصرخت في رعب وهي تندفع اليه للاحتماء به. لكنه في هذه المرة ساعدها على استعادة توازنها ثم تركها بعد ذلك وهو يقول بصوت مخنوق:

«أرجوك. ارتدي ثيابك».

ثم انحنى فوق الأرض يلتقط المصباح، وأضاءه وهو يقول:

«ألم يكن ممكناً اختيار مكان أفضل من هذا لنتبادل الحب؟ هذا المكان مليء بالبعوض والثعابين».

واكتشفت ديليا أن العديدمن الحشرات قد علقت بجسدها المبتل، فأخذت

تزيلها بيد مرتعشة ولبست ثيابها بعد أن نفضتها جيداً.

قالت وهي تدفع بشعرها المبتل الى الخلف:

«لست الوحيدة التي أردت مبادلتك الحب. كنت أنت أيضاً تريد ذلك».

فقال بلهجة عنيفة:

«حسناً. أعترف أنني أردت ذلك. ولكنني أتحدى أي رجل تجري في عروقه الدماء أن يفعل غير ما فعلت عندما يجد سيدة عارية بين يديه».

فقالت بتردد:

«انني... انني أردت فقط أن... أن».

ثم قالت بصوت يخنقه البكاء:

«أوه... لماذا تعاملني بهذه القسوة؟»

فضحك وهو يردّ قائلاً:

«دفاعاً عن نفسي. وقد ألجأ في سبيل ذلك الى استخدام اي سلاح وأرجو ألا تعتقدي أن ما حدث الآن بيننا يعني أي شيء. وانني على يقين من أنك عندما تعودين الى رشدك وتتخلصين من تأثير ضوء القمر على عواطفك، ستشعرين بالسعادة لأنني استطعت التحكم في نفسي ولم أنتهز الفرصة».

وشعرت ديليا وهو يقول هذا بأنه يفجر جرحاً متقيحاً. فانتفضت وهي تسأله:

«ولكن لماذا. لماذا تفعل ذلك؟»

ثم همست تقول راجية:

«أوه. يا ادموند لماذا لا نعود كما كنا في بدء زواجنا؟ لقد كنا في منتهى السعادة».

«لا يمكن أن نعود كما كنا. فقد ارتكب كل منا خطأً كبيراً في حق الآخر. وسيلزمنا الوقت الطويل لكي ننسى ونغفر. وقد لا نستطيع ذلك».

ثم أضاف ادموند وهو يضرب بعصبية احدى الحشرات:

«أعتقد أن هنا ليس المكان المناسب لمناقشة العلاقة بيننا. هيا نعود الى المعسكر لننام. لأننا سنمضي في طريقنا صباحاً. تعالي اتبعيني وسأضيء لك الطريق. وتحركي بهدوء فان الجميع ينام».

وانحنت ديليا لتلتقط ثوب استحمامها من فوق الأرض، وجاهدت وهي تسير بجانب ادموند لتمنع دموعها من السقوط محتفظة بما تبقى لها من كرامة.

وعندما وصلا الى المعسكر، كانت النيران ما زالت مشتعلة وقال لها ادموند:

«حاولي أن تدخلي الى الفراش، والاختباء وراء الشباك التي تمنع دخول البعوض بأسرع ما يمكن حتى لا تتيحي الفرصة للبعوض بالدخول».

فسألته:

«هل يمكنني أن أضع رداء نومي؟»

«هل هو معك؟»

«انه في الفراش المعلّق».

«حسناً يمكنك ذلك. وسأعود اليك لمساعدتك على التسلق الى فراشك».

وبعد أن بدّلت ثيابها، أخذها ادموند ووضعها في الفراش المعلّق وهو يقول:

«لا تتركي اي ثياب على الأرض. هل لديك غطاء؟»

فشكرته وهي تردّ بالايجاب. فقال:

«ستحتاجين اليه. تصبحين على خير».

فقالت من بين دموعها:

«تصبح على خير. وشكراً».

ولم يكن من السهل على ديليا أول الأمر أن تنام في مثل هذا الفراش المعلّق. ولكنها استلقت في نهاية الأمر فوق ظهرها، وأخذت تنظر في السماء فوقها وقد انتشر ضوء القمر الأصفر الباهت ليضيء المكان.

حاولت الاستغراق في النوم ولكنها لم تستطع، فقد كانت مضطربة للغاية. وتذكرت موقفها مع ادموند على شاطىء النهر وعواطفها ورغبتها التي

تفجرت بعنف لمبادلته الحب، هذه الرغبة التي لم تكتمل بسبب اعراضه عنها. ولكن ألم تعرض عنه هي منذ ستة عشر شهراً؟

وتذكرت قوله لها: لقد ارتكب كل منا خطأ كبيراً في حق الآخر. وادركت ديليا في هذه اللحظة الى أي حد آذت مشاعر ادموند في تلك الليلة في لندن، عندما غادرت المنزل وتركته وحيداً. ولكن لماذا لم يمنعها من الخروج؟ لقد كان بامكانه أن يفعل ذلك.

وتمنت ديليا لو أنه لم يذهب الى بيتر في تلك الليلة او لم يصدق حديثه. ولكن كيف وهي تعرف تماماً مقدرة بيتر على اقناع اي شخص بما يريده، ولا بد أن ادموند في ذلك الوقت كان يشعر باذلال شديد لموقفها منه، وكان على استعداد لأن يصدق أي شيء يقال له وخاصة من أعز أصدقائه.

لقد صدقت هي بيتر أيضاً في وقت من الأوقات عندما أخبرها بأنه من الأفضل لها أن تطلق ادموند لأنه حضر اليه وطلب المضي في اجراءات الطلاق. وكاد أن يقنعها بذلك بالفعل على اساس ان هذه هي رغبة ادموند، ولكن حدث ما دفعها الى التمسك بادموند وعدم محاولة الحصول على الطلاق.

وتذكرت ديليا حديث بيتر معها وهو يستحثها على طلب الطلاق من ادموند، حين قال لها:

«عندما ينتهي كل شيء، سيكون بامكانك التخلص من ادموند والزواج بي».

فصاحت به قائلة: ولكنني لا أريد الزواج منك. انني لا أريد الزواج من اي رجل آخر غير ادموند، لأني أحبه. وربما أوافق على الطلاق ولكنني لن أتزوج بك. وبدا على بيتر في ذلك الوقت أنه صدم، ولكنه تمالك نفسه، وجلس الى جانبها بهدوء وأمسك بيدها قائلاً: من الطبيعي أن يكون هذا شعورك الآن. الطلاق تجربة قاسية بالنسبة لأية امرأة. أعرف تماماً الصراع الذي يدور بداخلك وأنت تحاولين اتخاذ قرارك. ولكن صدقيني ستشعرين بالراحة بمجرد اتخاذك مثل هذا القرار، ثم تنهد بيتر مضيفاً: لقد مرت عليّ قضايا كثيرة من هذا النوع.

لقد اتخذ ادموند قراره، ولن يعود اليك بأي حال من الأحوال. وسألته ديليا برجاء: هل تعرف مكانه؟ نعم. ولكنه طلب مني الاحتفاظ بذلك سراً. وأنا لن أخون ثقته بي. وأعتقد أنه سيذهب في رحلة أخرى قد تستغرق منه اكثر من عام.

ثم التفت بيتر اليها، وأضاف قائلاً: ألا ترين يا ديليا. انه لن يستقر أبداً. وسيتركك دائماً تعيشين وحيدة؟ فاجابته: لو أتأكد من انه يريد الطلاق فعلاً! لو أستطيع التحدث معه او حتى الكتابة اليه. انني متأكد من انه يريد الطلاق، فأنا لست صديقه فقط ولكنني محاميه. وقد قال لي بالحرف الواحد انه ارتكب غلطة كبيرة بزواجه منك. وانه يريد اصلاح هذه الغلطة بأسرع ما يمكن. فهو كما تعرفين لا يستطيع أن يرى شخصاً يتألم. وهو يعتقد أنك تتألمين. أرجوك يا ديليا، اتخذي قرارك لمصلحتك الشخصية ولراحتك.

ولكن ديليا لم تتخذ قرارها كما يريد بيتر لأنها بدأت تلاحظ حينئذ وجود تغييرات في جسدها. وكان قد مضى ثلاثة أشهر منذ عودة ادموند من أندونيسيا ثم رحيله من جديد الى وسط أميركا. وهناك احتمال كبير أن يكون قد حدث حمل. وتأكد لها ذلك بالفعل عندما ذهبت الى الطبيب، فطردت من ذهنها تماماً فكرة الحصول على الطلاق.

وشعرت ديليا بسعادة غامرة وهي تدرك أنها تحمل طفلاً من ادموند. وحاولت الاتصال به بأية وسيلة أو معرفة مكانه لتبلغه بذلك. ولم تبلغ بيتر بأنها حامل لأنها لم تعد تثق به. وحاولت أن تعرف منه من جديد مكان ادموند ولكنه رفض قائلاً انه لا يعرف مكانه فامتنعت عن لقائه منذ ذلك الوقت.

ولم تترك ديليا منظمة من منظمات الصحة او الاغاثة إلاّ اتجهت اليها لتسأل عن ادموند. وذهبت الى معهد الأبحاث الذي كان ادموند يعمل به، فأعطوها عنوان عمه الذي لم تكن تعرف عنه شيئاً. وعندما ذهبت اليه، أبدى دهشته الشديدة لأنه لم يعرف أن ادموند له زوجة. قال لها انه لا يعرف عنه

شيئاً.

وتقلّبت ديليا في فراشها وهي لا تستطيع النوم.

وودّت في هذه اللحظة لو أن معها الحبوب المنومة، وتمنت لو أنها في غرفتها في بوستو اورلاندو مع ادموند لتقول له عن السبب الحقيقي الذي دفعها الى تناول هذه الحبوب. وهو أنها اصيبت بانهيار عصبي بعد فقدها للطفل الذي ولد قبل موعده وتوفي بعد ذلك. كم تود الآن أن تهمس لادموند بآلامها ليشاركها التجربة القاسية التي كادت تحطّمها.

وأثارت هذه الذكرى الحزينة عواطفها. ولكن رويداً رويداً بدأت أعصابها تهدأ، وأخيراً استغرقت في نوم عميق.

واستيقظت في الصباح الباكر لتجد الجميع قد سبقوها في الاستيقاظ. فأسرعت بارتداء ثيابها وتناول افطارها ولم يكن قد تبقى الكثير من الطعام. وبعد تناول قدح من القهوة، جمعت حاجياتها كما فعل الجميع، واتجهت الى المركب الذي مضى يشق مياه النهر من جديد في الطريق الى بينوروس.

وجلست ديليا في المركب الى جانب لويز وهي تدوّن المعلومات التي تعرفها منه عن عمله مع القبائل، وكفاحه لتأهيلهم التأقلم مع المدنية الحديثة، مع الاحتفاظ بتقاليدهم.

وقال لويز يحدّثها:

«انني أزوّد رجال القبائل بمعدات حديثة مثل الفؤوس المعدنية والسكاكين بدلاً من الأدوات الحجرية التي يستعملونها. كما أزوّدهم بالبنادق وبعض معدات صيد الأسماك. هذا بالاضافة الى الطعام والملابس التي يحتاجون اليها في بعض الأحيان. ولا أحاول اطلاقاً أن أفرض عليهم طريقة حياتنا كما يفعل المستعمر الأبيض. بل أترك لهم مطلق الحرية لممارسة حياتهم بكل تقاليدها وطقوسها كما يحلو لهم.

ولم تستطع ديليا منع نفسها من الاعجاب به، فقد كان مخلصاً في كل كلمة

نطق بها. وتحدّث معها لويز عن والدها، وكيف كان يساعده في عمله، ثم تطرّق بهما الحديث الى ادموند فقال لويز:

«كم أود لو يقرّر ادموند البقاء معنا في بوستو اورلاندو. ألم يتحدث معك بشأن هذه المسألة؟»

«لا... ليس بعد».

«لن يكون قراراً سهلاً بالنسبة إليه. أعرف ذلك خاصة بعد أن قابلتك. فعندما يكون الرجل أعزب مثلي، فان اتخاذ مثل هذا القرار لا يكون صعباً. ولكنني آمل أن تتوصلي مع ادموند الى حل وسط كما هو الحال مع ريتا و مانويل. وكما عرفت منها فان الزواج الحقيقي يعني أن يتغلب الحب على أية مشكلة تعترض طريق الزوجين ليصلا معاً الى حل يرضي كليهما.

ولمّا كان الجو حاراً، فان ديليا فضّلت البقاء في الظل في المنطقة التي يوجد بها المحرّك، وجلست تدوّن ملاحظاتها وانضمّت اليها ريتا لبعض الوقت. ولكن ادموند لم يقترب من مكانها، وفضّل البقاء تحت أشعة الشمس.

وفي منتصف النهار سقطت الأمطار بغزارة مما حجب عنهم الرؤية تقريباً. وما أن توقفت الأمطار حتى تمكّنت ديليا من رؤية أحد الشواطىء التي كان المركب قد اقترب منها. وبدت لها في وسط الغابة منطقة متسعة خضراء تناثرت فوقها بعض الأكواخ الخشبية. وبدا منظرها رائعاً وسط الأشجار الكثيفة التي أحاطت بها من كل جانب. وكانت هذه هي بينوروس.

هبط ادموند و مانويل يساعدان جيكارو في سحب المركب الى الشاطىء، حيث وقفت مجموعة من الهنود يرتدي معظمهم ثياباً عادية، وكانوا يقفون في صمت تام.

وسرعان ما اندفعت سيدة وسطهم وهي تصيح بصوت عال، وتخبط بيدها على صدرها وقد انسابت الدموع من عينيها.

وهبط جيكارو من المركب، وتقدّم الى الشاطىء، فتوقّفت السيدة فجأة عن

الصباح، وأمسكت بذراعه وهي تبتسم بسعادة واتجهت معه الى منطقة الأكواخ.

وما أن انتهى هذا المشهد، حتى اندفع الهنود يتصايحون ويضحكون، وهم يحيون لويز ويعانقونه.

ولم تفهم ديليا شيئاً مما يدور حولها، فأوضحت لها ريتا الأمر قائلة:

«هذه السيدة هي والدة جيكارو، كانت تبكي لأنه تغيب عن القرية لفترة طويلة. وتقضي التقاليد بأن يلتزم الجميع الصمت حتى تنتهي من الترحيب بولدها العائد. والآن هيا بنا ننزل الى الشاطىء».

وشعرت ديليا بسعادة وهي تنزل من المركب، ولكنها ترنحت وكادت تسقط لولا أن امتدت يد لتسندها.

ونظرت ديليا فرأت أمامها شاباً برازيلياً وسيماً في حوال الثلاثين من عمره يبتسم لها وهو يحدثها بالبرتغالية. ولم تفهم ديليا شيئاً من حديثه ولكنها ردت تحيته بالبرتغالية، فأضاء وجهه وهو يرد عليها بالانكليزية الركيكة.

ووصل لويز في هذه اللحظة يحيط به الهنود. وعندما رأى الشاب هتف قائلاً:

« كارلو. لم أكن أتوقع لقاءك هنا».

ثم عانقه وقبله على الطريقة البرازيلية مشيراً الى ديليا يقدمها له قائلاً:

«هذه ديليا تالبوت، صحفية تعمل معنا».

ثم قدم لويز الشاب اليها قائلاً:

«وهذا كارلو سيلفيريا ابن احد المستكشفين العظام، ويعمل كطيار تابع لمنظمة حماية الحياة القبلية».

وتساءل كارلو وهو يصافح ديليا:

« تالبوت. هل هذا الاسم له صلة بالدكتور تالبوت؟»

فأجاب لويز وهو يتجه الى الأكواخ:

«نعم. انها زوجته».

فصاح كارلو متعجباً:

«هل هذا معقول. كم مضى على زواجك من ادموند؟»

فأجابت ديليا وهما يسيران خلف لويز:

«عامان ونصف».

فصاح كارلو من جديد:

«لا أكاد أصدق هذا. لقد اجتمعت بادموند مراراً خلال العام الماضي، ولم يخبرني أبداً أن له زوجة».

ورأت ديليا امرأة طويلة القامة، نحيلة، تهبط التل متجهة اليهم. وكانت تبدو في حوال السادسة والعشرين من عمرها شعرها أسود طويل، ولون بشرتها برونزي جذاب للغاية، وكانت ترتدي سروالاً من القطن الفاتح وقميصاً مناسباً.

وتحدثت الى كارلو بالبرتغالية بلهجة سريعة وهي تشير الى ديليا. ورد عليها بنفس اللغة. ورأت ديليا ابتسامة ساخرة ترتسم على شفتيه وهو يردد اسمها.

والتفتت المرأة الى ديليا وقد اتسعت عيناها من الدهشة وقالت بالانكليزية:

«لم أكن أعرف أن ادموند متزوج».

ثم قدمت نفسها قائلة:

«أنا الدكتورة زانيتا ميريللي، وقد اعتنيت بزوجك اثناء اصابته بالملاريا بعد أن ضل طريقه في الغابة».

فمدت ديليا يدها لتصافح المرأة، ولكنها تركتها فجأة نازلة التل مسرعة. ونظرت ديليا وراءها، فرأت ادموند يصعد التل وهو يحمل حقيبته.

ورأت زانيتا تندفع ناحيته. وتوقف ادموند ونظر اليها مبتسماً فاندفعت اليه وأحاطته بذراعيها وقبلته على وجنتيه لأكثر من مرة. فضحك ادموند ووضع الحقيبة على الأرض ليبادلها التحية.

وأشاحت ديليا بوجهها سريعاً. فرأت كارلو ينظر اليها بأهتمام شديد وكأنه يجد المشهد مسلياً. ولكنه لم يعلّق بشيء، وسار الى جانبها في الطريق الى الأكواخ.

وقال لويز يحدثها:

«ستتقاسمين أنت وادموند احد الأكواخ مع مانويل و ريتا. فليس في القرية هنا التسهيلات الموجودة في يوستو اورلاندو أما نحن فسنبيت فوق الشباك المعلّقة في العراء. واذا أردت الاغتسال فيوجد حمام في هذا الكوخ الذي يتوسط المنطقة.

وصحبها لويز الى أحد الأكواخ. وكان متسعاً من الداخل وقد ترك نصفه مكشوفاً أما النصف الآخر فكان مسقوفاً. ووضعت لمبة تضاء بالوقود فوق احد جذوع الأشجار التي يستند اليها السقف. وعلى ضوئها الضعيف أمكن لديليا ان ترى الهنود وهم يعلقون شباك النوم التي أحضروها معهم في المركب.

وما أن رأى الهنود ديليا تدخل الى الكوخ، حتى تقدّموا منها وهم يشيرون الى حقيبتها. وفهمت ديليا ما يريدون. ففتحت الحقيبة، وأخرجت بعض الحلوى والسكاكر وأعطتها لهم. فغادروا الكوخ مع لويز.

ودخل بعد ذلك مانويل و ريتا واتجها الى الركن الخاص بهما في الكوخ. وجلست ديليا تمشط شعرها بعد أن بدّلت ثيابها، وهي تسائل نفسها عن ادموند وأين هو الآن.

وبعد ذلك اتجهت ديليا مع مانويل و ريتا الى حيث يقدّم الطعام. وكان القمر مكتملاً، وضوءه يملأ المكان الذي فاحت في أنحائه رائحة زهر الليمون.

ودخلا الى أحد الأكواخ القريبة من النهر حيث وجدا أحد الهنود يقوم باعداد الطعام. ووقفت ديليا تراقبه للحظة وقالت ريتا:

«يبدو أن الطعام سيكون دسماً الليلة. فقد سمعت أن صيادي القبيلة تمكّنوا من اصطياد عدد من الغزلان البرية».

وفي الغرفة الطويلة التي خصّصت لتناول الطعام، رأت ديليا لويز يجلس وقد احاط به الهنود يصغون له كيف تمكنوا من اصطياد الغزلان. كما رأت ادموند يجلس الى مائدة مستطيلة مع زانيتا.

وهمست ريتا قائلة لديليا:

«هل تعرّفت بالدكتورة زانيتا ميربللي؟»

فقالت ديليا وهي تجلس الى المائدة:

«نعم. قدّمني كارلو اليها. ولكن يبدو أنها صغيرة على كونها طبيبة. هل هي متطوعة؟»

«نعم. أنها في كلية طب سان باولو، وتريد التخصص في الطب الاستوائي، وهي تنحدر من عائلة غنية جداً».

وشعرت ديليا بتعاسة وهي تقول لنفسها: مثل ادموند تماماً ولكن الى أي مدى يتفق ادموند مع هذه الطبيبة الجذابة المرحة؟

واقتربت ريتا من ديليا وهي تقول بصوت هامس:

«أرجو ألا يضايقك كلامي. ولكنني سأقول لك ما أقول لأنني أشعر بميل اليك وكأنني أعرفك منذ فترة طويلة. انني أعتقد أن زانيتا تحب ادموند. وقد تعلّقت به اثناء الفترة التي قضتها معنا في يوستو اورلاندو للعناية به».

وقفز سؤال الى ذهن ديليا ودّت لو نطق به لسانها، وهو: هل هو أيضاً يحبها؟ ولكنها لم تحاول أن تحرج ريتا بتوجيه مثل هذا السؤال اليها.

ونظرت خلسة عبر المائدة. وكان ادموند يجلس مستنداً بذراعيه الى المائدة، يدخن سيكارته ويبتسم وهو يستمع باهتمام شديد الى حديث زانيتا التي كانت تتحدث بأنفعال وهي تلوّح بيدها بين وقت وآخر.

ووجدت ديليا نفسها تتساءل عم يتحدثان. ربما كانت تحدثه بشأن بعض المسائل الطبية. ولكن من يدري ماذا تقول له هذه الطبيبة وما هو رأيه فيها.

وتوقّفت زانيتا عن الحديث وهي تنظر اليه فيما يبدو انتظاراً لأجابة منه.

فأجابها على الفور بلغة برتغالية سليمة. وبدا عليهما الاستغراق التام في الحديث لدرجة أن ديليا شعرت أنهما قد انفصلا تماماً عن أي شيء آخر وانهما يعيشان في عالم خاص بهما.

وشعرت ديليا بنيران الغيرة تشتعل في صدرها وهي تفكّر كيف أن ادموند تجاهل وجودها تماماً وهما على المركب، في الوقت الذي يظهر فيه كل الاهتمام بهذه المرأة البرازيلية التي عانقته وكأنه حبيبها.

وأشاحت ديليا بنظرها الى الناحية الأخرى لترى كارلو وقد جلس على يمينها، فابتسمت له وبادلها الابتسام.

وقال كارلو:

«ما زلت مندهشاً كيف يحضر ادموند الى بوستو اورلاندو ويقضي طوال هذه المدة بعيداً عنك. لا بد أن يكون، ماذا يقولون مجنون؟ لا يمكن لرجل عاقل أن يترك زوجة جميلة مثلك وحيدة ليسرقها رجل آخر منه. ولكن لماذا تركته يسافر؟»

«لم يكن بامكاني منعه».

«كيف ذلك؟ لا أصدق أن امرأة مثلك لا يمكنها أن تفعل ذلك. لو أنك اردت فعلاً بقاءه الى جانبك. أو ربما كان زواجكما من النوع الحديث الذي يعيش فيه كل من الزوجين حياته الخاصة ولا يجتمعان الا اذا سمحت لهما الظروف بذلك».

«تبدو وكأنك لا تريد مثل هذا الزواج».

«بالطبع لا. عندما أتزوج، ولا أعتقد أنني سأفعل ذلك الآن. أريد أن تبقى زوجتي في المنزل للعناية بي وبالمنزل وبالأطفال بعد ذلك».

«ولكن لنفترض أنك لم تستطع البقاء معها، أو دعتك ظروفك الى التغيب عنها معظم الوقت؟»

«في هذه الحالة أتوقع منها أن تبقى في انتظاري باخلاص لترحّب بي عند عودتي».

ثم نظر كارلو عبر المائدة الى حيث يجلس ادموند و زانيتا واقترب من ديليا ووضع يده على فمه وهو يهمس قائلاً:

«انني لا أهتم بهذا الطراز من النساء على شاكلة الدكتورة زانيتا فانها باردة تحب الحديث عن نفسها وعن مهارتها كطبيبة طوال الوقت، ومع كل هذا الحديث، لن يكون هناك وقت لتبادل القبلات».

ضحكت ديليا، وأخذت في تناول الطعام وهي تشعر بالسعادة لأنها تجلس الى جانب كارلو الذي أخذ يحدثها طوال الوقت وجذب انتباهها بعيداً عن زانيتا و ادموند، وجعلها تنسى متاعبها.

وبعد الانتهاء من تناول الطعام، توجهوا الى الخارج حيث جلسوا في الهواء الطلق على المقاعد الخشبية يراقبون الهنود وهم يقدمون رقصاتهم الشعبية وقد ارتدوا ثياباً من الريش زاهية الألوان.

وجلس كارلو الى جانب ديليا يشرح لها معنى الرقصة التي كانت تقدم، قائلاً انها تعبير عن الغضب. الغضب على المستعمر الأبيض الذي يريد أن يشق طريقاً وسط الغابة.

وبعد الانتهاء من مشاهدة الرقص، اتجهت ديليا بصحبة كارلو الى الكوخ. وكان النسيم عليلاً وضوء القمر ينتشر في المكان ويبدو أن هذا الجو الشاعري أثار عواطف كارلو، ذلك انه أمسك بيد ديليا وهو يودعها على باب الكوخ ورفعها الى شفتيه يقبّلها وهو يهمس، قائلاً:

«تصبحين على خير. انني سعيد بوجودك معنا وسأراك غداً».

ثم تركها واختفى في الظلام.

دخلت ديليا الى الكوخ، وتحسّست طريقها في ضوء المصباح الخافت الى الركن المخصص لها ولادموند. وخلعت ثيابها ولبست رداء نومها، وتمكّنت من التسلق الى الفراش المعلّق بدون مساعدة أحد وأغمضت عينيها وهي تستمع الى ريتا و مانويل وهما يتهامسان ولكنها لم تستطع النوم فاستلقت بانتظار

عاد ادموند أخيراً الى الكوخ، وسمعته يتحرك بهدوء ليخلع ملابسه ويستلقي في فراشه. وتمنّت ديليا في هذه اللحظة لو واتتها الشجاعة للتحدث اليه لتعرف منه أين كان حتى الآن وماذا كان يفعل.

وفتحت عينيها، فرأت الكوخ يسبح في الظلام بعد أن أطفأ ادموند المصباح.

وعلى الرغم من أن الليل كان يقرّب بينهما لأنهما كانا يجتمعان في مكان واحد، إلاّ أن ديليا كانت تشعر في ذلك الوقت انهما بعيدان تماماً عن بعضهما البعض، وبدا لها وكأن الهوة التي تفصل بينهما تزداد كل يوم اتساعاً. واستغرقت في النوم وهي تعتقد أنها قد توصلت الى السبب الحقيقي وراء رغبة ادموند في البقاء في البرازيل. انه يريد البقاء الى جانب الدكتورة زانيتا ميريللي!

٥ ـ عناق في الادغال

قال ادموند محدثاً ديليا:

«يوجد رجل مريض للغاية في احدى القرى المنعزلة وسط الأدغال. وقد تلقينا رسالة من قبيلته تطلب طبيباً على وجه السرعة. وسيأخذنا كارلو بطائرته الى هناك هذا الصباح. فهل ترغبين في الذهاب معنا؟»

وكانت ديليا وقد نزلت لتوّها من فراشها المعلق، تبحث عن منشفتها والصابونة لتذهب الى حيث يمكنها الاغتسال، فوقفت جامدة للحظة وظهرها اليه وهي لا تكاد تصدق أذنيها. هل يطلب منها ادموند حقاً الذهاب معه الى أي مكان؟

والتفتت اليه، فرأت شعره مبتلا كأنه اغتسل بالفعل، وبدا وجهه حليقاً جذاباً وقد تناثرت خصلات شعره المجعد المبتل حول أذنيه وعلى عنقه. وعلى الرغم من أنه يبدو منتعشاً، الا أنها لاحظت وجود بقع سوداء حول عينيه تشير الى انه لم يأخذ قسطاً وافياً من النوم.

وترددت ديليا قليلاً قبل أن تسأله برجاء:

«هل تريدني أن أذهب معك؟»

فقال بعصبية واضحة:

«بماذا تريدينني أن أجيبك؟ انني اوجه اليك سؤالا بسيطاً وأنت تجيبين بسؤال آخر. كارلو يقول ان الطائرة يمكنها أن تحمل أربعة أشخاص. ويعتقد لويز أن زيارتك لمثل هذه القرية المنعزلة سيفيدك في عملك. وعلى هذا فان أمامك فرصة للذهاب، اما أن تقبليها أو ترفضيها. فهو أمر يتعلق بك وحدك».

وبالرغم من أنها شعرت بالألم لهذه اللهجة العنيفة التي يحدثها بها، وبالرغم أيضاً من أنها كانت تشعر بصداع وألم في معدتها ورغبة شديدة في النوم، الا أنها كانت تريد أن تذهب معه لتثبت له أنه يمكنها الذهاب الى أي مكان يذهب اليه.

فقالت بسرعة:

«انني... انني أريد أن أذهب معك لو سمحت. ولكن من هو الشخص الرابع الذي سيذهب معنا؟»

فاجاب باقتضاب:

«الدكتورة ميريللي، ستكون فرصة طيبة لها أيضاً».

وأضاف وهو يتجه الى الخارج:

«حسناً، سأذهب لأبلغ كارلو أنك ستذهبين معنا. واذا كانت لديك أية هدايا، فاحضريها معك لاعطائها لرجال القبيلة وسأراك على مائدة الافطار بعد حوالى ربع ساعة».

وخرج ادموند من الكوخ. وكانت ديليا تود لو تسأله عما اذا كان يشعر بالقلق لأنه سيضطر الى ركوب مثل هذه الطائرة الصغيرة لأول مرة بعد تعرضه لحادث سقوط الطائرة من قبل. ولكن حتى لو كان يشعر بالقلق، فهل يعترف لها بذلك. في أية حال انه لم يتح لها فرصة لتوجيه هذا السؤال اليه.

ووضعت ديليا ثيابها، وأسرعت الى حيث اغتسلت في الكوخ القريب، وشعرت بالانتعاش قليلاً، وأمكنها أن تقبل على طعام الافطار الذي كان يتكون من البيض، والفطائر المصنوعة من دقيق الذره. وبالرغم من أنها كانت لا تزال

تشعر بالألم في معدتها، الا أنها كانت تحس بالسعادة لأنها ذاهبة مع ادموند في هذه الرحلة.

وحياها كارلو وهو يظهر لها سعادته لأنها ستشاركهم الرحلة، ووضع ذراعه في ذراعها وهو يسير الى جانبها في الممر الذي تربض فوقه الطائرة. وكان يرتدي سروالا كاكي اللون وحذاء عالياً، ووضع حول وسطه حزاماً جلدياً عريضاً يتدلى منه جراب به مسدس. وأمسك بيده الأخرى بندقية.

وقال كارلو وهو يساعد ديليا للصعود الى الطائرة:

«انني احتفظ بمثل هذه الأسلحة معي دائماً تحسباً للطوارىء. فربما اضطر الى الهبوط وسط الأدغال، وفي هذه الحالة يجب أن يكون معي سلاح لاحصل على الطعام. والآن اتجهي الى المقعد الأمامي فانني أريدك أن تجلسي بجانبي لأن هذا سيكون أفضل لك.وستكون لديك فرصة أفضل للمشاهدة».

ووصل ادموند وزانيتا بصحبة لويز الذي حضر لتوديعهم وقد التف حوله بعض الهنود.

ونظر ادموند الى ديليا وقطب جبينه وهو يسألها:

«لماذا تجلسين في المقعد الأمامي؟»

فقال كارلو مبتسماً:

«لأنني طلبت منها ذلك ياصديقي. لا تقلق عليها فانها ستكون في امان وهي تجلس بجانبي. ويمكنك أن تجلس أنت في المقعد الخلفي حيث تستطيع الحديث مع الدكتورة زانيتا».

والتفت ادموند الى زانيتا التي جلست في المقعد الخلفي وهو يهز كتفيه قائلاً:

«حسناً. كما تريد».

وأقفل باب الطائرة، وبدأت محركاتها في العمل، ثم بدأت تسير فوق المدرجتى وصلت الى سرعتها اللازمة فارتفعت في السماء. ونظرت ديليا الى أسفل تلوح

بيدها للويز وريتا ومانويل بينما كانت الطائرة تدور حول القرية.

وكان كارلو يتولى قيادة الطائرة بسهولة، وقد تعمّد أن يطير على ارتفاع منخفض فوق النهر حتى تتمكن ديليا من مشاهدة التماسيح وهي تستلقي تحت أشعة الشمس على الشاطىء الرملي، وكان شكلها مخيفاً للغاية. كما أمكنها مشاهدة قطيع من الغزلان ترعى في احدى مناطق السافانا. وكانت الخضرة تمتد أسفل الطائرة كبحر واسع لا نهاية له، تخترقه في بعض الأحيان خطوط تبرق تحت أشعة الشمس تمثل الأنهار ومجاري المياه، كما كانت أسراب من الطيور الزاهية الألوان تحلّق في تناقض غريب مع لون الخضرة الداكن الممتد على مرمى النظر.

وصاحت ديليا ليسمعها كارلو وهي تسأله:

«كيف يمكنك أن تعرف طريقك الى القرية؟»

ونظر اليها مبتسماً وهو يقترب منها:

«هذه مشكلة من السهل عليّ حلها. فانني حيث أذهب، اراقب البوصلة. حتى أرى في النهاية عاموداً من الدخان، وحيث يتصاعد لا بد أن تكون هناك حياة».

ثم اقترب كارلو منها اكثر، وقال بصوت منخفض:

«هذه هي اول رحلة بالطائرة يقوم بها ادموند منذ الحادث الذي تعرض له. وأريد أن أعرف شعوره».

فنظرت ديليا بحذر الى المقعد الخلفي حيث يجلس، فرأته جالساً في صمت ينظر أمامه، ولم يكن يلتفت الى زانيتا التي كانت تنظر من النافذة. وعندما التقت نظراتهما شعرت بالقلق، فقد كانت عيناه مليئتين بالغضب.

ونظرت ديليا أمامها من جديد، ولكنها لم تحاول أن تقترب من كارلو لتتحدث اليه، كانت تعرف أن ادموند يراقبها. ولكن كارلو انحنى نحوها وهو يسألها:

«هيه. كيف حاله؟»

«يبدو في حالة طيبة».

«انني سعيد بذلك. كنت أخشى أن يؤثر عليه الحادث، والآن انظري الى أسفل. هل ترين هذا الدخان؟ هذه هي القرية التي نقصدها».

وهبطت الطائرة، ورأت ديليا مكاناً منبسطاً وسط الأشجار الكثيفة. وبدأ كارلو يدور بالطائرة فوق أسطح الأكواخ التي امتلأت بالقش. وخرج الأهالي منها وهم يصيحون ويلوحون بأيديهم للطائرة.

وأخيراً استقرت الطائرة فوق الأرض، وكان المكان ضيقاً والممر قصيراً مما اضطر كارلو الى استخدام الفرامل بقوة.

وبمجرد أن فتح باب الطائرة، امتدت الأيادي الداكنة اللون لتساعد كارلو على الهبوط منها. ثم ساعد الأهالي ديليا وادموند وزانيتا على الهبوط بعد ذلك. واتجه الجميع في خطى سريعة الى وسط القرية، وكان الجو حاراً ومشبعاً بالرطوبة. واستمر الأهالي يتصايحون ويلوحون بأيديهم، فتوقف ادموند وهو يتساءل:

«ماذا حدث؟ ولماذا يتصايحون هكذا؟ انني لن أمضي في طريقي قبل أن أعرف ماذا يريدون؟»

وبدأت ديليا تشعر بدوار، فقد كانت الحرارة شديدة وبدا لها كل شيء وكأنه يدور حولها، ولكنها تماسكت.

وتقدم أحد الرجال الأشداء من كارلو، وتحدث اليه قليلاً. فالتفت هذا الى ادموند يفسر له ما يقول:

«الأهالي سعداء لحضورنا. وهذا الرجل هو زعيم القبيلة ويريدك أن تتوجه معه فوراً الى كوخ الرجل المريض».

فسأله ادموند:

«وأين هو؟»

«أعتقد انه في ذلك الكوخ. ما عليك الا أن تتبعه».

«ولكنني لا أفهم حديثهم وسأحتاج الى من يترجم لي».

فقال كارلو وهو يبتسم بخبث:

«انني متأكد أن الدكتورة ميريللي على استعداد للقيام بهذا الدور. أليس كذلك يا زانيتا؟»

والتفت اليها، وحدثها بالبرتغالية، فرفعت حاجبيها في حركة عصبية وهي تقول:

«بالطبع يمكنني ذلك».

والتفت ادموند الى ديليا . فحاولت أن تبدو في حالة طبيعية حتى لا يلاحظ أنها تشكو من أي ألم.

وقال ادموند يحدثها برقة:

«هل يمكنك البقاء وحدك؟ ألن يزعجك ذلك».

وشعرت ديليا بشعاع من الأمل ينفذ الى نفسها، فقد اعتقدت في هذه اللحظة أنه اذا كان يشعر بالقلق من ناحيتها الى هذه الدرجة ويهتم براحتها، فانه من الممكن ان تثير اهتمامه من جديد كامرأة وكزوجة.

وردت ديليا قائلة:

«شكراً. سأكون بخير. ربما أتجول لالتقاط بعض الصور».

وقال كارلو:

«لا تقلق. سأعتني بها. وسأخذك في جولة داخل القرية».

فنظر اليه ادموند نظرة غريبة، ثم هز رأسه موافقاً وهو يقول:

«حسناً... سأسرع في العودة بقدر الامكان».

ثم التفت الى زعيم القبيلة، وقال له شيئاً بالبرتغالية، فربت هذا على كتفه وأمسك بذراعه وصحبه الى أحد الأكواخ الذي كانت تنبعث منه أصوات عويل.

والتفت كارلو الى زانيتا التي لم تتحرك من مكانها، وقال لها شيئاً بالبرتغالية، فنظرت اليه بغضب شديد وهي تتمتم ببعض الكلمات، ثم تبعت

ادموند الى الكوخ حاملة حقيبتها الطبية في يدها.

وبعد أن ذهبت زانيتا قال كارلو وهو يمسك بذراع ديليا مشيراً الى شجرة كبيرة:

«سنجلس في ظل هذه الشجرة الكبيرة لبعض الوقت».

وجلسا معاً على احد المقاعد الخشبية. وسرعان ما تجمهر حولهما الهنود ينظرون الى ديليا بفضول. وتذكرت ديليا الهدايا التي أحضرتها معها، ففتحت حقيبتها وأخرجت منها الحلوى والسكاكر لتقدمها لهم.

كان أهالي هذه القبيلة يختلفون عن القبائل الأخرى التي قابلتها ديليا، كانت بشرتهم تميل الى السواد. ووضع معظمهم طبقة سميكة من الطلاء فوق جلودهم. وكان الرجال يحيطون أذرعتهم بشرائط من جلود الحيوانات.

تقدم منها الهنود يلمسونها ويمسكون بذراعها وشعرها. ويرفعون يدها ليروا خاتم الزواج الذي تضعه في اصبعها. ويتفحصون القلادة التي وضعتها حول عنقها.

وجلست ديليا بهدوء وصبر لأنها كانت تدرك مدى أهمية هذه الأشياء بالنسبة إليهم،فابتسمت لهم، وابتسموا لها بخجل ثم تقدمت احدى السيدات وبدا أنها أصدرت أمراً، فاندفع شاب يجري تجاه أحد الأكواخ ثم عاد وهو يحمل ملء يده من المكسرات وقدمها لديليا.

ولم تكن ديليا تشعر برغبة في تناول اي شيء، ولكنها تناولت واحدة حتى لا تؤذي مشاعرهم.

وهمس كارلو قائلاً:

«انهم معجبون بك. وهذا شيء رائع لأن هذه القبيلة لا تألف الى الغرباء بسرعة. كما انها من أمهر القبائل في الأشغال اليدوية. وسترين هذا بنفسك».

ثم صاح كارلو وهو يقف فجأة:

«يا الهي. لقد خرجت من الكوخ!»

ونظرت ديليا الى حيث كان كارلو ينظر، فرأت زانيتا تجري مندفعة من الكوخ، فاندفع كارلو يعترض طريقها وتحدث اليها بلهجة عنيفة، ولكن زانيتا التي بدا وجهها شاحباً ردت عليه بحدة، واندفعت وقد وضعت يدها على فمها تجري حيث اختفت وراء أحد الأكواخ.

وصاحت ديليا تسأل كارلو:

«ماذا حدث؟»

«انها لم تستطع تحمل رؤية الرجل المريض. لا أدري ما فائدة كونها طبيبة مادامت تصاب بالغثيان سيما تشاهد شخصاً مريضاً؟ لا يمكن أن تصلح للعمل في الأدغال، فهي غير مؤهلة لذلك كما هو الحال مع ادموند».

ثم نظر الى ديليا وهو يضيف:

«هل تعرفين يا ديليا انني معجب جداً بزوجك. في أول الأمر لم أكن كذلك. فقد بدا لي بشعره المجعد وعينيه الزرقاوين الباردتين وصوته الهادىء الرقيق كما لو كان شاباً من الطراز الذي سئم الحياة الرغدة التي يعيشها فحضر الى هذه المناطق لمجرد التغيير. ولكنني كنت مخطئاً، لانني وجدته بعد ذلك رجلاً مهذباً يهتم بالآخرين ويعمل على مساعدتهم كما أن لديه قدرة كبيرة على التحمل. وقد ثبت لي هذا بعد أن تمكن من شق طريقه بين الأدغال التي ضل فيها لما يقرب من أسبوعين».

ونظرت ديليا الى باب الكوخ الذي يوجد بداخله الرجل المريض، وقالت:

«ان ادموند يقف بالباب وهو يلوّح لنا».

واتجها معاً الى حيث يقف ادموند الذي بدا عليه الشحوب الشديد وكان العرق يتصبب من وجهه، وسأل بحدة:

«أين ذهبت الدكتورة ميريلي؟»

فرد كارلو بلهجة ساخرة:

«انها خلف الكوخ. شعرت بغثيان. هل أنت بحاجة الى مساعدة؟»

«نعم. فانني لا أفهم حديثهم. كل ما فهمته أن مرض الرجل له دخل بأحد الطيور».

ثم التفت الى ديليا قائلاً:

«لا داعي لدخولك يا ديليا».

ولكنها أصرت على الدخول، فقال لها:

«ان المنظر بالداخل لن يعجبك».

فقالت:

«هذا شيء طبيعي. أريد الدخول الى الكوخ، فربما يفيدني ذلك في كتابة مقالاتي».

وكان داخل الكوخ معتماً، وسمعت ديليا أصوات نسوة ينتحبن ويولولن، ورأت فراشاً معلقاً تلتف حوله النسوة فنظرت داخله فرأت شبحاً هزيلاً للغاية ظنته لأول وهلة طفلاً صغيراً. ولكنها عندما دققت النظر اكتشفت انه رجل أشبه بالهيكل العظمي.

وأخذ الزعيم يتحدث الى كارلو وهو يشير بيديه، اشارات كثيرة، وأخيراً تولى كارلو تفسير كلامه، فقال:

«الشاب المريض ذهب يوماً ليصطاد وفقد سلاحه، وذهب ليبحث عن الماء فضل طريقه في الغابة، ولم يكن معه أي طعام او شراب فالتقطه طائر الأنافو ووضعه في عشه. ثم عاد به الى القرية أمس».

فهمس ادموند متسائلاً وهو ينظر الى المريض:

«وما هو هذا الطائر؟»

«يعتقد الهنود أنه عندما يضل أحدهم الطريق في الغابة فان مخلوقاً نصفه رجل ونصفه طائر ينقذه ويحتفظ به في عشه لحين. ثم يحمله فوق منقاره ليعود به الى أهله».

«هيه... مجرد اعتقاد يحاول الهنود أن يفسروا به ما يستعصى عليهم فهمه أحياناً».

ثم أضاف ادموند:

«ان هذا الشاب يعاني من الأنيميا الحادة وفقر الدم، ويجب أن ينقل فوراً الى بوستو اورلاندو. وستكون أنت يا كارلو طائر الأنافو الذي يحمله بعيداً ليعود به الى أهله بعد ذلك معافى».

«ان هذه فكرة رائعة ياصديقي. ولكنني لا أستطيع أن أحمله معنا على هذه الطائرة الصغيرة، فانها لا تتسع لأكثر من أربعة أشخاص. واذا خاطرت، فربما تسقط الطائرة لأنها ليست في حالة جيدة».

فاعترض ادموند قائلاً:

«ولكن هذا الشاب لا يكاد يزن شيئاً».

«أعرف ذلك. ولكن أخاه ووالدته لن يتركاه يذهب وحيداً، فأنت تعرف مدى ارتباط الأهالي هنا ببعضهم بعضاً وخاصة في حالات المرض، وحسب تقديري فان أخاه لا يقل وزنه عن مائة وخمسين كيلوغراماً».

ونظر اليه ادموند وبدا عليه التفكير، ثم رفع يده يمسح العرق عن وجهه قائلاً:

«تعال نخرج ونناقش هذه المسألة. أريد أن أشرب شيئاً».

والتفت كارلو الى الزعيم وقال له شيئاً، ثم خرجوا جميعاً من الكوخ وجلسوا تحت ظل الشجرة، وكانت زانيتا تجلس على المقعد الخشبي، فاتجه ادموند اليها مباشرة وجلس بجانبها وتحدث معها برفق، فشعرت ديليا بنيران الغيرة تشتعل من جديد في صدرها، فجلست على الطرف الآخر من المقعد، وقد ادارت لهما ظهرها.

وبعد قليل خرج الزعيم من الكوخ تتبعه بعض النسوة، اللاتي قدمن لهم في حياء عصير الفواكه الطازجة الذي تناولوه بنهم شديد.

وقال ادموند بلهجة آمرة:

«سيضطر اثنان منا للبقاء في القرية حتى نتمكن من نقل الشاب المريض.

وبالطبع ستضطر أنت يا كارلو للذهاب معه، فأنت قائد الطائرة، ويجب أن تقرر من الذي سيتخلف».

فقال كارلو:

« زانيتا و ديليا أو أنت وواحدة منهما».

وأعقب هذا الاقتراح من كارلو فترة صمت، واعتقدت ديليا أن الرجلين ينتظران رأيها ورأي زانيتا بالنسبة لهذه المسألة فقالت بهدوء:

«انني لا أمانع في البقاء هنا، ربما يكون هذا أفضل لي».

فقال ادموند بسرعة:

«اذاً سأبقى معك».

وفي الحال انفجرت زانيتا في حديث عاصف لم تفهم منه ديليا حرفاً واحداً وهي تلوح بيديها في ثورة، فهمست ديليا تسأل كارلو الذي كان يجلس بجانبها:

«ماذا حدث الآن؟»

«انها تريد أن تذهبي أنت معنا على الطائرة لتبقى هي مع ادموند. يالها من امرأة غبية».

فقالت ديليا وهي تشعر بالتعاسة:

«أخبرها أنني سأذهب معك ويمكنها هي البقاء، فان الأمر سيان بالنسبة لي».

فقال كارلو بغضب:

«لن أفعل شيئاً من هذا القبيل. ان ادموند هو الذي يمكنه وحده أن يقرره.

ثم التفت الى زانيتا، وتحدث اليها بلهجة عنيفة والتفت من جديد الى ادموند قائلاً:

«ان الأمر متروك لك ياصديقي. ربما يكون الأمر أسهل بالنسبة لك اذا ذهبت أنت معي وتركت ديليا وزانيتا معاً هنا».

فقال ادموند بلهجة قاطعة:

«لا. من الأفضل أن أبقى أنا هنا، فان وزني أثقل. أما زانيتا فستذهب معك. من الضروري أن تلازم الشاب المريض فقد يحتاج الى مساعدتها».

فقال كارلو متسائلا بسخرية:

«ومن سيقول لزانيتا هذا؟»

«سأفعل أنا ذلك، المفروض أنني رئيسها وستطيع اوامري. ولكن هل تعتقد أنك ستتمكن من العودة الينا قبل حلول الظلام؟»

«انني أشك في ذلك، وربما اضطررت انت وديليا للقضاء الليلة هنا. وسأتحدث الى الزعيم ليعد لكما مكاناً تقضيان فيه ليلتكما».

فقال ادموند:

«حسناً. ليس علينا الآن الا أن ننقل الشاب المريض الى الطائرة».

فنهض كارلو، واتجه الى الكوخ حيث يوجد الرجل المريض، والتفت ادموند الى زانيتا وأخذ يتحدث اليها بالبرتغالية، ولم تفهم ديليا شيئاً من الحديث، فشغلت نفسها بمشاهدة الأطفال وهم يلعبون وسط الأكواخ وهي تعجب في نفسها من هذا الوضع الشاذ فهذا هو ادموند زوجها يحاول أن يشرح لزانيتا كيف انه من الضروري أن تعود هي مع كارلو ليبقى هو معها... هي زوجته!

وبعد قليل عاد كارلو بصحبة زعيم القبيلة وأم الشاب المريض وأخيه، وقال يحدث ادموند:

«لقد تم الاتفاق على أن تبقى أنت وديليا هنا الليلة، وتم اعداد كوخ لكما».

فوقف ادموند وهو يقول:

«حسناً».

ووقفت ديليا بدورها، وعرضت مساعداتها، وهنا التفت اليها ادموند قائلاً بلهجة آمرة:

«بل ستبقين أنت هنا في الظل».

فنظرت اليه وهي تتساءل:

«ألست بحاجة الى مساعدتي؟»

فنظر اليها ومد يده كما لو كان يريد أن يلمس وجهها، ولكنه سحبها سريعاً وادار لها ظهره وابتعد عنها. وهو يقول:

«لا، لست بحاجة الى مساعدتك الآن».

وجلست ديليا من جديد على طرف المقعد الخشبي، وجلست زانيتا على طرفه الآخر، ولكنها قامت فجأة لتتمشى قليلاً ثم جلست بجانب ديليا، وابتدرتها قائلة بلهجة انكليزية ركيكة:

«لماذا حضرت الى البرازيل؟ ولماذا تبعت ادموند الى هنا؟»

فانفجرت ديليا معترضة وهي تقول:

«انني لم أتبعه. لقد حضرت لأكون الى جانب ادموند، لأنني زوجته ولأنني أحبه».

واتسعت عينا زانيتا ثم لوت شفتيها وهي تشيح بوجهها بعيداً تجاه الكوخ. ثم قالت وهي تحاول تأكيد كلامها:

«انه لا يحبك. واذا كان يحبك حقاً فلماذا لم يحدث أحداً بأمر زواجه منك. ان المرة الوحيدة التي تحدث فيها عنك، كانت عندما أصيب بالمرض بعد عودته من الأدغال. فقط كان يهذي باسمك وهو يعاني من الحمى».

«ماذا تقولين؟»

«أجل سمعته مراراً يهذي باسمك وباسم شخص يدعى بيتر ولم أفهم كلامه، وكل ما استنتجته من هذيانه أن بيتر هذا ربما كان عشيقك»

ثم تنهدت وهي تقول:

«مسكين ادموند. لقد عانى كثيراً. ولولا وجودي بجانبه لما استطاع التغلب على مرضه».

وشعرت ديليا في هذه اللحظة بغضب شديد لم تشعر بمثله من قبل،

وأدركت كل شيء يدور حولها، وجاهدت طويلاً حتى لا تلتفت الى هذه المرأة وتصفعها بكل قوتها على وجهها وتنشب فيها مخالبها للقضاء عليها.

وتملكتها غيرة رهيبة لشعورها أن هذه المرأة فعلت مع ادموند ماكان من واجبها هي كزوجة أن تفعله اثناء مرضه.

وبعد أن تمالكت نفسها، احست بارهاق شديد وبرأسها يؤلمها، ولكنها تماسكت وقالت لزانيتا بصوت خافت:

«أشكرك في أية حال للعناية به حتى تماثل للشفاء».

فضحكت زانيتا بسخرية وهي تقول:

«ها... انني لم أفعل ذلك من اجلك، بل من أجل نفسي فقد قابلت ادموند مرتين من قبل. مرة في ريو دي جانيرو وسرنا معاً على الشاطىء الصخري بينما كان في زيارة لمنزل عائلتي، والأخرى في برازيليا وانا معجبة به جداً. ولذلك تطوعت للعمل في بينوروس على أمل لقائه مرة أخرى. وقد حدث هذا بالفعل. انني أحبه اكثر مما تحبينه وهو ايضاً يحبني. ولذلك يجب أن أبقى معه هنا هذه الليلة ولست أنت».

فصرخت ديليا قائلة:

«يمكنك البقاء، فان هذا لا يهمني في شيء».

ثم قالت وهي تقف:

«ولكن لا تتوقعي مني أن أذهب، فان من حقي البقاء مع ادموند هنا، بينما أنت لا تملكين هذا الحق».

واندفعت ديليا تبتعد عن زانيتا لأنها لم تعد تطيق البقاء معها اكثر. وسارت لا تلوي على شيء ولا تعرف الى أين تتجه، وشعرت بكلمات زانيتا وكأنها ضربات مطرقة تهوي فوق رأسها. ربما تكون على حق في قولها ان ادموند يحبها، وربما كان ذلك هو السبب الحقيقي فعلاً في رغبته للبقاء في البرازيل.

وشعرت بالعرق يتصبب على ظهرها وساقيها، ولكنها استمرت في السير وهي

لا تدري الى أين. ولكن هل يهم هذا؟ وهل يهم اي شيء مادام ادموند لا يحبها بل يحب امرأة أخرى؟ ربما كان هذا هو السبب في موقفه الرافض لها منذ حضورها الى يوستو اورلاندو ومحاولته اعادتها الى البرازيل.

وتعثرت قدمها في كتلة من الخشب، وسقطت فوق الأرض وفي الحال امتدت اليها الأيدي تساعدها على القيام ونظرت ديليا فوجدت مجموعة من الفتيات وقد التففن حولها، وكان بعضهن عارياً تماماً، وكن جميعاً يحدقن فيها وقد بدا عليهن القلق.

تقدمت منها احداهن ولمست ذراعها واشارت لها الى طريق وسط الأشجار. نظرت ديليا الى حيث تشير الفتاة، فرأت أحد الأنهار، وأخذت الفتاة تحرك ذراعيها كما لو كانت تسبح، ثم أشارت الى ديليا ثم الى النهر من جديد.

وفهمت ديليا أن الفتاة تريدها أن تذهب معهن للاستحمام وحتى تتأكد من ذلك، أشارت ديليا الى نفسها ثم الى النهر وأخذت تحرك ذراعيها كما لو كانت تسبح، فابتسمت الفتاة وهزت رأسها بالايجاب.

فرحت ديليا بهذه الفكرة، فصحبتها الفتيات الى الشاطىء، حيث وجدت المزيد من الفتيات والأطفال. وما أن رأوا ديليا حتى تجمعوا حولها يبدون اعجابهم بملابسها ومجوهراتها. ثم أشارت لها الفتيات بخلع ملابسها لتصبح عارية مثلهن. فخلعت قميصها وسروالها، ونزلت الى النهر، وكانت المياه صافية. وانطلقت ديليا تغوص في الماء تارة، وتسبح تارة أخرى وقد بدأت تشعر بالانتعاش.

ونسيت لفترة جميع همومها ومضت تمرح مع الفتيات والأطفال.

وخرجت من النهر، وجلست على الشاطىء، مع الفتيات تعلمهن كيف يبنين القلاع من الرمال، وأخذت ترسم لهم صوراً للقطارات والعربات والطائرات، والفتيات يضحكن بسعادة.

وشعرت ديليا بالصداع، فعادت الى مياه النهر للسباحة من جديد، وتبعها

عدد من الصبية وهم يتصايحون.

وسمعت ديليا أصواتاً عالية، فنظرت الى الشاطئ، ورأت مجموعة من رجال القبيلة يتحدثون مع الفتيات.

وغطست ديليا في الماء وهي تسبح مبتعدة عن الشاطئ، ولاحظت ان بعض الصبية يتبعونها وهم يضحكون ويشيرون اليها ثم الى الماء. فنظرت حولها فرأت شيئاً غامضاً يسبح تحت الماء، متجهاً اليها وعلا صياح الصبية وهم يقذفون بأنفسهم بمرح في المياه، فنظرت في حيرة وفجأة وجدت ادموند أمامها.

فصاحت ديليا تسأله:

«ماذا تفعل هنا؟»

«أبحث عنك. انك حقاً مجنونة. لماذا ذهبت هكذا دون أن تبلغي أحداً بذلك. لقد بحثت عنك في كل مكان. لماذا تركت القرية؟»

«لأنني... لأنني... لم أستطع البقاء مع زانيتا والاستماع اليها اكثر من ذلك. ادموند انني سأعود الى بوستواورلاندو مع كارلو، ويمكنها البقاء معك اذا كان هذا ما تريده أنت».

ونظر اليها ادموند وقد بدت الحيرة على وجهه، وقال:

«ما هذا الذي تقولينه؟ لقد أقلعت الطائرة منذ ساعة تقريباً. كارلو لم يستطع الانتظار اكثر من ذلك ليتمكن من الوصول الى بوستواورلاندو قبل أن يحل الظلام».

ثم نظر اليها بدهشة وهو يسألها:

«ماذا قالت لك زانيتا؟»

«قالت من المفروض ان تبقى معك هنا بدلا مني... وقلت لها بامكانها ان تفعل ذلك. فهل بقيت هنا؟»

«بالطبع لا. طلبت منها الرحيل وهي تعرف جيداً كيف تطيع الأوامر. لقد رحلت منذ ساعة، وظللت أبحث عنك وأنا أعتقدك قد ضللت طريقك في الأدغال».

ثم نظر اليها نظرة غريبة وهو ينفجر فيها قائلاً:

«اياك ان تفعلي هذا مرة أخرى. هل تسمعين؟».

فقالت ديليا بغضب:

«تعتقد أنه من حقك انت الاختفاء لعدة أسابيع أو شهر او ربما لأكثر من عام بدون أن أعرف عنك شيئاً، ثم تحاسبني لأنني اختفيت عن نظرك لفترة قصيرة؟»

وغطست في الماء من جديد، وعندما طفت رأته مازال يقف بجانبها وهو ينظر اليها بنوع من التهكم، وقال:

«انك دائماً تختارين الأماكن الغريبة لنناقش فيها أمورنا».

«انني لم أفعل هذا. لقد اخترت أنت المكان، وأنت الذي سبحت خلفي الى هنا. كما أنني لم أكن أتناقش، ولكنني كنت أعبر عن رأيي. والآن أنت تعرف شعوري، وكيف كنت أشعر بالقلق عندما رحلت وغبت عني لمدة ستة عشر شهراً بدون أن أعرف مكانك».

«كان بيتر يعرف مكاني. وما كان عليك الا أن تسأليه»

«فعلت ذلك ولعدة مرات، ولكنه قال لي أنك طلبت منه الا يعرّفني بمكانك. ثم بعد ذلك قال انه لا يعرف عنك شيئاً على الاطلاق».

وأخذت ديليا تسبح عائدة الى الشاطئ، وتبعها ادموند وتقدمت الفتيات اليها وهن يتحدثن ثم صحبنها معهن بعيداً عن ادموند خلف شجرة كبيرة. وقدمت لها احداهن وشاحاً طويلاً من النسيج القطني وأشارت لها بأن تضعه فوق جسدها. فأخذت ديليا الوشاح ولفته حول جسدها على هيئة الساري الهندي، فصفقت الفتيات بسعادة ونزعت احداهن زهرة حمراء كبيرة من شعرها، رشقتها في شعر ديليا خلف أذنها، فصفقت الفتيات من جديد وهن يضحكن .

ثم أخذتها احدى الفتيات من يدها، وصحبتها الى حيث كان يقف ادموند الذي كان قد ارتدى ثيابه. وأمسكت الفتاة باحدى يديه، فوضعتها في يد ديليا. وفجأة وقف الجميع في صمت تام، فجذب ادموند ديليا اليه وهو يهمس

قائلاً:

«أعتقد أنهم يتوقعون مني أن ابدي اعجابي بك. ولو أنني لا أبدو مناسباً لك وأنا ارتدي هذه الثياب».

«ربما يكون من الأفضل لك أن تضع مثلهم بعض الريش في شعرك وتطلي وجهك بالطلاء الأحمر!»

«وهل أعجبك لو فعلت هذا؟»

ودهشت ديليا لقوله، فهمست قائلة:

«لا. فأنت تعجبني كما أنت. وكان هذا شعوري نحوك دائماً».

فأحنى ادموند رأسه وعانقها.

وظلت ديليا لفترة طويلة تسير وكأنها في حلم جميل وهي تستعيد مشهد عناقها. وسارت مع ادموند ووراءهما مجموعة الفتيات الى القرية.

وبعد أن وصلا الى القرية، صحبهما أحد كبار رجال القبيلة في جولة بين الأكواخ، وكان يتحدث القليل من البرتغالية.

وقال لهم ان قبيلته مشهورة بصناعة الأواني الفخارية. وقادهما الى احد الأكواخ حيث وجدوا بداخله رجلاً مسناً يصنع وعاء من الفخار. وقد تناثرت حوله الكثير من الأواني الجميلة الصنع من جميع الأشكال والاحجام.

وأبدت ديليا اعجابها الشديد بمهارة الرجل، واشترت بعض الهدايا، كما اشترى ادموند بعضاً منها.

وعندما خرجوا من الكوخ، كان قرص الشمس يكاد يختفي وراء الأفق، وقد اكتست السماء لوناً جميلاً هو خليط من البرتغالي والقرمزي والذهبي.

وتناولا الطعام في منزل الدليل الذي يرافقهما، وكان مكوناً من السمك والأرز والفاصوليا، وعصير الفواكه الطازجة.

وبعد أن انتهوا من تناول الطعام، خرجوا جميعاً ليشاهدوا الرقص الذي يقدمه رجال القبيلة. وكان القمر قد بزغ وبدأ ضوءه ينتشر في المكان.

وبدأ الرقص على قرع الطبول المدوية، واشترك فيه ستة من رجال القبيلة يضعون حول وسطهم أحزمة يتدلى منها ما يشبه الحشائش الصفراء، وقد ارتدوا أغطية رأس من الريش الطويل الزاهي اللون، ووضعوا أجنحة من أوراق الشجر العريضة الخضراء.

كان المنظر رائعاً وشاعرياً، وشعرت ديليا بحواسها تتيقظ وهي تجلس بجانب ادموند على كتلة خشبية. وبدا وكأن الرقص ودقات الطبول أيقظت حواسه هو ايضاً، فشعرت بذراعه العارية تلامس ذراعها. وكان ملاصقاً لها، ثم امتدت ذراعه لتحيط بخصرها، وأصابعه تتحرك برقة فوق ظهرها.

وبدأ قلبها يدق بشدة وقد اثارتها انغام الطبول الصاخبة وشعرت بادموند يضغط بأصابعه على خصرها وهو يقربها منه. وأحست بأنفاسه وهو يقترب منها ليهمس في اذنها قائلاً:

«هيا بنا نذهب للنوم».

«أين؟»

«في الكوخ الذي أعد لنا».

«الا يجدر بنا أن ننتظر قليلاً. فقد يشعرون بالاستياء اذا نحن غادرنا المكان قبل انتهاء الرقصة؟»

«لا أعتقد ذلك، ابلغت الرجل الذي كان يصحبنا أننا لن نمكث طويلاً، وقد بدا متفهماً تماماً... تعالي».

وأمسك ادموند بيدها، وقادها بين الأعشاب الطويلة الى حيث توجد الأكواخ. وكان الجو دافئاً ومشبعاً برائحة الغابة، والسكون يلف المكان الذي بدا حالماً في ضوء القمر.

ولم تكن ديليا تسمع سوى دقات الطبول المثيرة التي اشعلت حواسها.

وداخل الكوخ كان يوجد مصباح معلق في أحد القوائم الخشبية التي يستند اليها السقف. ونظرت ديليا حولها وصاحت قائلة:

«أوه. لا يوجد سوى فراش واحد معلق».

ثم توقفت امام الفراش الذي بدا عريضاً، وقالت:

«الأفضل أن نذهب ونطلب منهم فراشاً آخر».

فقال ادموند بعدم اكتراث وهو يخلع قميصه:

«ولكننا لسنا في حاجة الى فراش آخر. هذا الفراش كبير يكفي لنا».

ووقفت ديليا في مكانها يتنازعها شعوران: شعور بالخوف وشعور بالرجاء. وهي لا تفهم تماماً ماذا يقصد ادموند.

ثم خلع ادموند سرواله وعلقه مع القميص في أربطة الفراش المعلق. وتقدم نحو ديليا التي وقفت تنظر اليه وقد بدا لون صدره وكتفيه العاريتين برونزياً جذاباً في الضوء الخافت وارتسمت ابتسامة غامضة على شفتيه. وقال لها ادموند:

«هل ستذهبين الى الفراش وانت تلفين حول جسدك هذا الوشاح أم تريدين أن أساعدك على خلعه؟»

فرفعت يديها لتحل عقدة الوشاح، وهمست وهي تنظر الى ادموند:

«هل أنت متأكد؟»

«متأكد من ماذا؟»

فسألته بصوت مرتجف:

«هل أنت متأكد من أنك تريدني أن أشاركك هذا الفراش، لم يبدو عليك ذلك من قبل».

فقال وهو يأخذ منها الوشاح ليعلقه:

«انسي كل شيء عن الماضي».

ثم قال وهو يتجه الى الفراش:

«المشكلة الآن هي كالمعتاد كيف ندخل الى الفراش بدون أن نتيح فرصة للبعوض بالدخول معنا».

ثم التفت اليها يسألها:

«هيه. هل أنت على استعداد للصعود الى الفراش؟»

ومد ادموند يده لها، فأمسكت بها وهي تشعر كما لو كانت مسلوبة الارادة، وصعدت الى الفراش ودخلت تحت الشباك الواقية من البعوض. وقال لها ادموند بصوت آمر:

«اخلعي حذاءك، وناوليه لي».

فأطاعته. وبعد أن أعطته الحذاء، استلقت على ظهرها في الفراش وقد تلاحقت ضربات قلبها. وكان يهيأ لها أن صدى هذه الضربات يتردد في جنبات الكوخ.

كان الفراش يتسع بالفعل لشخصين يناما ملتصقين ببعضهما بعضاً. وأثارتها فكرة نومها بين ذراعي ادموند وشعرت بنيران تشتعل في داخلها. وأطفأ ادموند المصباح، ثم سمعته يضحك وهو يمسك بحافة الفراش ليصعد اليه وهو يقول:

«أرجو الا يسقط بنا».

وتأرجح الفراش، بينما كان ادموند ينزلق لينام الى جانبها. وأحست ديليا بدفء قدميه وساقيه العاريتين وهما تلتصقان بها. ثم دفع بذراعه تحت كتفها، فأسندت رأسها على صدره وهي تستمع الى دقات قلبه.

وهمس ادموند يسألها:

«هل تشعرين براحة هكذا؟»

«نعم. شكراً».

وشعرت بصدره يعلو ويهبط وهو يضحك، ثم قال وهو يحاول أن يقلد كلامها:

«نعم. شكراً. انك دائماً مهذبة للغاية وانت تستخدمين مثل هذه الكلمات».

«لقد تعودت على ذلك منذ كنت طفلة صغيرة في المدرسة وعندما كنت أذهب عند خالتي مارشا».

«هل التقيت بها مؤخراً؟»

«لا. ولكنها أرسلت اليّ خطاب تعاتبني فيه لأنني لم أستمع الى نصيحتها وتحذيرها لي بشأنك».

فصاح بدهشة:

«وهل حذرتك مني؟ ومتى حدث هذا؟»

«كان ذلك بعد أول لقاء لي معك. نصحتني في ذلك الوقت بعدم التورط في علاقة معك. وعندما رفضت الاستماع اليها، وصفتني بأنني غبية؟»

وأعقب ذلك فترة من الصمت. قطعها ادموند قائلاً بصوت خافت.

«ربما كانت على حق. لقد كان من الأفضل لك أن تتزوجي شخصاً مثل بيتر، فانه كان سيسعدك ويبقى الى جانبك ويوفر لك منزلاً مريحاً. انني لا أزال لا أفهم لماذا لم تحاولي الحصول على الطلاق مني»

«لم أكن أستطيع فعل ذلك، من دون أن أراك اولاً».

«لقد فهمت من بيتر أن هذا لا يهم في شيء، طالما أنني أبلغته بوصفه المحامي الموكل عني بموافقتي على الطلاق وقال انه سيبلغني بتطورات الأمور، ولكنه لم يفعل ذلك أبداً».

«هل كتبت اليه؟»

«مرتين».

«ولماذا لم تكتب اليّ؟»

وسادت فترة أخرى من الصمت. ثم شعرت بأصابعه تتخلل شعرها وتعبث به، وهو يهمس قائلاً:

«لم أعتقد انك تريدين ان تسمعي أي شيء عني بعدما حدث بيننا. يا الهي، لو عرفت مقدار ما شعرت به من ألم!»

وأحست ديليا وكأن هذه الكلمات تخرج من أعماقه، فشعرت برغبة شديدة في التخفيف عنه، فرفعت يدها ولمست وجنته بأصابعها وهي تربت عليها برفق، وهمست قائلة:

«لقد كانت غلطتي».

وأضافت وهي تشعر بالراحة لأنها اعترفت له أخيراً بأنها أخطأت:

«لم يكن من اللائق ان أتصرف بتلك الطريقة. ولكنني كنت خائفة ولم أفهمك لقد كنا نعرف القليل عن بعضنا. وكان بيتر قد أخبرني أنك ربما تكون غير مخلص لي وأنت بعيد عني».

فقاطعها ادموند بحدة:

« بيتر، بيتر، يبدو أن كل شيء يدور حوله لقد كنا حتى نتصل ببعضنا عن طريق بيتر!»

«انني أعرف ذلك. ولقد حاولت الاتصال بك، ولكنه كان دائماً بيننا. وفي تلك الليلة، عندما عدت الى المنزل ولم أجدك، انتظرت طوال الليل وكنت أود أن أعتذر اليك. ولكنك لم تحضر وانتظرت أن تتصل بي في الصباح بعد ذهابي الى عملي، ثم عدت الى المنزل على أمل أن أجدك قد عدت، ولكن. ولكنك كنت قد رحلت. يا ادموند كم كان الأمر فظيعاً!»

وتساقطت الدموع من عينيها على صدره، فرفع وجهها اليه وهو يجفف دموعها. ثم طبع قبلة رقيقة على خدها.

وشعرت ديليا بشفتيه دافئتين، فاستجابت له وأحاطت عنقه بذراعها وهي تضغط عليه وتقربه منها كما لو كانت تقول له انها لا تريده أن يبتعد عنها. وشعرت بأصابعه تلمس كل جزء من جسدها بحنان. ورفع ادموند رأسه وهو يقول هامساً:

« ديليا، أنت تعرفين ما الذي اريده منك الآن؟ ولكن. هل تريدين أنت ذلك أيضاً؟ انني لن أحاول أن أخيفك مرة أخرى».

فاحتضنته ديليا بقوة وهي تشعر بسعادة كبيرة وجسدها يلتصق بجسده وهمست قائلة:

«نعم، يا ادموند ارجوك. لقد اشتقت اليك كثيراً، وانتظرت هذا اللقاء منذ فترة طويلة وكنت أتوق اليه. كنت في شوق الى حبك، ولهذا جئت الى البرازيل لأكون الى جانبك».

واندفع ادموند يحتضنها بحب واستجابت له ديليا وتأرجح الفراش وهما يتعانقان وصوت الطبول يدوي في الخارج بعنف.

٦ ـ خذني معك

استيقظت ديليا في الليل على صوت الرعد وعلى الآم فظيعة في معدتها. وكان ادموند يضع رأسه على صدرها وهو مستغرق في نوم عميق وعلى الرغم من آلامها، نظرت اليه ديليا في الظلام وهي تبتسم. فقد كان لقاؤهما ممتعاً برغم ضيق الفراش. وعجبت ديليا من نفسها، كيف أنّ هذا اللقاء لم يتمّ من أول ليلة قضتها مع ادموند في بوستو اورلاندو ولكنّها تذكرت قوله لها: يلزمنا الوقت لننسى ونغفر. وأدركت في تلك اللحظة أنه على حق، وأن الزمن كفيل باصلاح ما أفسده بيتر الذي كانا يثقان به. ولكنه، وهو الصديق المخلص، كان يشعر بالغيرة منها.

وأضاء الكوخ ضوء البرق الذي نفذ من فتحة الدخان الموجودة بالسقف ورعدت السماء. وشعرت ديليا من جديد بألم يكاد يمزق معدتها وأصابها الغثيان، فهمست قائلة لادموند:

«يجب أن أقوم».

ولكن ادموند لم يسمعها، وكان مستغرقاً تماماً في النوم. فسحبت ذراعها برفق من تحت كتفه، وهبطت مسرعة من الفراش، واندفعت خارج الكوخ بدون أن تتمكن من وضع اي ثياب عليها. وجرت مسرعة داخل الغابة لتستند الى احدى الأشجار وتفرغ ما في جوفها. وأخذت ديليا ترتجف وهي لا تكاد تقوى على الوقوف.

وما كادت تتمالك نفسها قليلاً، وتتجه للعودة الى الكوخ، حتى شعرت بالغثيان

من جديد. واستمرت على هذه الحالة عدة مرات شعرت بعدها بارهاق شديد، ولم تكن تقوى حتى على السير، ولكنها بذلت كل ما تبقى لها من جهد لتزحف في بطء شديد عائدة الى الكوخ وكانت الأمطار قد بدأت في السقوط بغزارة.

وأخيراً وصلت الى الكوخ وقد ابتل شعرها وجسدها. ووصلت الى حيث يوجد الفراش، واستندت الى حافته وهي لا تكاد تقوى على الوقوف على قدميها.

وشعر ادموند بها فهبط من الفراش مسرعاً، ونظر اليها بخوف وقد وقفت ترتجف والمياه تتساقط من جسدها.

وأمسك بها وهي تترنح، وسألها بقلق:

«ماذا حدث؟ وأين كنت؟»

فأجابته وهي لا تكاد تقوى على الحديث:

«أشعر بتعب شديد. وأعتقد انني أصبت بالدوسنتاريا. أشعر بالغثيان وقد أفرغت ما في جوفي».

وفاجأتها موجة جديدة من الألم، فتلوت وهي تضغط على معدتها بقوة. فجذب ادموند الغطاء من داخل الفراش، ولفه حول جسدها باحكام، ثم حملها ووضعها فوق الفراش، وصعد حيث استلقى الى جوارها وقد ضمها اليه بقوة في محاولة لتدفئتها، وهو يسألها:

«لقد كنت تشعرين بالتعب طوال اليوم. أليس هذا صحيحاً؟»

فأجابت بصوت ضعيف:

«نعم. استيقظت صباحاً وأنا أشعر بصداع شديد وغثيان».

فسألها:

«اذاً. لماذا وافقت على الحضور معنا في هذه الرحلة؟»

فقالت وهي ما زالت ترتجف:

«لأنني. لأنني أردت أن... أن اكون معك. وأن أذهب معك الى أي مكان تذهب اليه. كانت هذه هي أول مرة تسألني فيها الذهاب معك. ولم يكن باستطاعتي

أن أرفض وأضيع فرصة وجودي معك، لمجرد أنني أشعر بالصداع»

قال بغضب:

«ما كان عليك الحضور وأنت تشعرين بالتعب. لقد أخطأت لأنني سمحت لك بالحضور. لقد طلبت منك المجيء فقط لأنني اذا لم أفعل ذلك، فان كارلو كان سيفعله. وقد حاولت جعلك ترفضين بأن تظاهرت بعدم الاهتمام بحضورك معنا. كنت أخشى عليك، وكنت أعرف أنه سيحدث شيء لك».

«ولكن لو لم احضر معك، لما تمكنا من...»

وتوقفت ديليا فجأة، وأخذت تتلوى وتتأوه وهي تضغط على معدتها، فضمها ادموند اليه بقوة وكأنه يريد أن يخفف عنها الألم وهو يزمجر قائلاً:

«كان يجب عليّ أن أرسلك مع كارلو في الطائرة بدلاً من زانيتا».

فهمست ديليا من بين آلامها قائلة:

«ان زانيتا تحبك».

فسألها بدهشة:

«وكيف عرفت ذلك؟»

«هي قالت لي. كما أنني لاحظت الطريقة التي استقبلتك بها عند وصولنا الى بينوروس، وكيف عانقتك وقبلتك باشتياق».

«كان عناقها لي شيئاً طبيعياً. فان هذه هي الطريقة التي يحيي بها البرازيليون معارفهم. ولا شيء اكثر من ذلك».

وكان التعب قد اشتد على ديليا، وارتفعت حرارتها، ولم تعد قادرة على التحكم في حديثها، فقالت بصوت ضعيف:

«وقالت لي زانيتا أيضاً أنك مشيت معها تحت ضوء القمر عندما كنت في زيارة لمنزل أسرتها. وقد راقبتها وهي تتحدث معك على مائدة العشاء، ورأيت كيف أنها لم تكن تشعر بوجود أحد غيرك. وكيف كنت تنصت اليها باهتمام، وتبادلها الحديث والابتسام».

«كان الأدب يقتضي مني ذلك. ولكنني لم أكن أنصت اليها، فقد كنت مشغولاً بمراقبتك وأنت تتحدثين وتضحكين مع كارلو. ان أي شخص كان يراكما تتحدثان بهذه الطريقة، يعتقد أنكما تعرفان بعضكما منذ فترة طويلة. فقد استحوذ كارلو على كل اهتمامك في تلك الليلة. بل انه حتى تجرأ وقبل يدك وهو يودعك على باب الكوخ».

«وكيف عرفت ذلك، وأنت لم تكن موجوداً في ذلك الوقت؟»

«بل كنت موجوداً، وقد سرت خلفك.»

«كنت أعتقد أنك ذهبت مع زانيتا».

«لا. لم أذهب معها، بل وقفت لأتحدث قليلاً مع كارلو بعد دخولك الى الكوخ».

«ان كارلو شخص لطيف للغاية».

«وأنا. ألست كذلك؟»

«انك لطيف مع أي شخص آخر، ولكن ليس معي».

ثم رفعت وجهها اليه في اعياء شديد، وهي تسأله:

«هل زانيتا هي السبب. هل هي السبب في رفضك العودة الى لندن؟ اذا كان الأمر كذلك، فانني على استعداد لأفعل كل ما تريده. هل تريد ذلك حقاً؟ هل تريد ذلك؟»

فقال ادموند وهو يضع يده على جبهتها:

«انك تهذين ياحبيبتي، ارتفعت حرارتك ولا تدرين ما تقولين».

«لا. ليس هذا صحيحاً. انني أشعر بالحرارة الشديدة. وأريد أن أشرب. ارجوك يا ادموند ان تقول لي هل تريدني أن ابتعد عنك؟ هل تريد ذلك فعلاً؟»

«انك تهذين».

«لا. انني أعرف تماماً ما أقول. وأريد أن أعرف الآن، ومن الضروري أن أعرف قبل أن اعود الى لندن. ارجوك يا ادموند. أرجوك».

«ماذا تريدين أن تعرفي؟»

«أريد أن أعرف ما اذا كنت تريدني فعلاً أن أمضي في اجراءات الطلاق حتى يمكنك الزواج من زانيتا. أوه يا ادموند. أين تتركني لتذهب؟»

وكان ادموند قد تحرك لينزل من الفراش، فقال:

«سأذهب لأحضر لك شيئاً ليسكّن آلامك. ولن أغيب طويلاً».

وبدأت ديليا تشعر بالدوار، وبدا كل شيء وكأنه يدور ويتراقص من حولها، وشعرت كأن الظلام بدأ يزحف ليغلف كل ما حولها، ثم شعرت باصابع تلمس ذراعها، فرفعت رأسها لترى من يقف بجانبها ولكن رأسها سقط وهي تغيب عن الوعي.

وعندما أفاقت ديليا بعد ذلك، كان ضوء النهار قد ملأ المكان ووجدت نفسها، وقد وضعت فوق محفة بعد أن لفت بعناية بملاءة نظيفة وهي تحمل خارج الكوخ. ورأت وجهاً ينحني لينظر اليها، عرفت فيه وجه كارلو الذي ما أن رآها تفتح عينيها حتى ابتدرها قائلاً وهو يبتسم:

«كيف حالك يا ديليا؟ كم أنا حزين لمرضك ولكن شكراً لله فقد بدأت تستردين وعيك. والآن. هل تعتقدين أنه يمكنك مساعدتي على الصعود الى الطائرة».

فسألته بصوت واهن:

«أين ادموند؟»

فجاءها صوت ادموند يطمئنها، وهو يقول:

«انني هنا يا ديليا بجانبك».

ثم أمسك ادموند بيدها، فنظرت الى وجهه، ولاحظت أنه يبدو عليه الارهاق الشديد وقد ظهرت الهالات السوداء تحت عينيه الزرقاوين فتذكرت في هذه اللحظة، قول لويز: ان ادموند في حاجة الى الراحة، فهو يشعر بالتعب سريعاً. فهمست قائلة:

«ادموند يجب أن تأخذ قسطاً من الراحة، فأنت مرهق للغاية».

«سأفعل ذلك عندما أنتهي مما أقوم به. أما الآن فاننا سنذهب رأساً الى بوستو اورلاندو حيث أضعك في سريرك لتأخذي كفايتك من النوم. هيا دعيني أساعدك على الجلوس».

ومد ادموند يده ليساعدها على الجلوس، فقالت:

«انني أشعر بتعب شديد. وكل شيء يدور من حولي».

فقال ادموند يطمئنها:

«لا تخشي شيئاً. أعطيتك حقنة مخدرة لأخفف آلامك، وستكونين بخير بعد أن يزول مفعول المخدر. والآن سأحاول مساعدتك لكي تصعدي الى الطائرة».

ورفعها ادموند بمساعدة كارلو الذي سبقها في الصعود ووضعها ادموند فوق المقعد في الطائرة وجلس بجانبها. وبعد قليل أقلعت الطائرة ووقف الأهالي يلوحون لها. وكانت ديليا في حالة من الارهاق الشديد لم تتمكن معها حتى من رفع يدها لترد تحيتهم. وما أن مضى وقت قصير حتى أغمضت ديليا عينيها لتروح من جديد في غيبوبة.

ولم تستيقظ ديليا الا بعد بضع ساعات لتجد نفسها فوق سريرها في غرفة ادموند في بوستو أورلاندو. وكان الوقت ليلاً. وأزاحت الغطاء، وهي تنظر حولها، فرأت ادموند يجلس الى المائدة الصغيرة يكتب وقد بدا عليه التركيز الشديد وهو يدخن السيكار وسألته ديليا بصوت ضعيف:

«ماذا تفعل؟»

فانتبه ادموند والتفت اليها قائلاً وهو يبتسم:

«أهلاً. ها قد عدت الى وعيك. انني اكتب التقرير. وأنت كيف تشعرين الآن؟»

ثم قام من فوق مقعده، واتجه الى الفراش حيث ترقد ديليا وجلس على حافته ونظر اليها نظرة متفحصة. فقالت ديليا وهي ما زالت في حالة من عدم الاتزان:

«انني أشعر بضعف شديد».

ثم وضعت يدها على معدتها وهي تضيف:

«أشعر كما لو كان بداخلي فراغ كبير تماماً مثل ما حدث لي بعد أن فقدت طفلي».

فظهرت الدهشة الشديدة على ادموند، وسألها في حدة:

«أي طفل هذا؟»

فرفعت اليه عينين يثقلهما النوم، ورأته ينحني فوقها وقد بدت في عينيه نظرة شك رهيبة. وأيقنت ديليا في هذه اللحظة أنها اخطأت بالحديث عن الطفل، ولكن لم يكن أمامها مجال للتراجع فقد خرج الأمر من يدها.

وأمسك ادموند بكتفيها وهو يقول في صوت آمر:

« ديليا. أي طفل؟ يجب أن تقولي لي».

فهمست قائلة:

«طفلنا يا ادموند».

فرأت وجهه وقد شحب شحوباً شديداً. فرفعت يدها تربّت على وجهه في حنان، وهي تقول:

«أوه يا ادموند. كم أنا آسفة لأنني فقدته. ولكنه ولد قبل موعده، ومات بعد ولادته ببضع دقائق».

فقاطعها ادموند بصوت غاضب والشرر يتطاير من عينيه:

«لماذا لم تخبريني بذلك؟ كان من الضروري أن أعرف كل شيء. كان من حقي أن أعرف».

«ولكنني. حاولت ذلك بالفعل».

ثم صاحت قائلة، وقد رأت ظلالاً من الشك ترتسم على وجهه:

«صدقني يا ادموند. أقسم لك حاولت أن أخبرك. لقد حاولت بالفعل وكنت أريدك أن تعرف. أوه يا ادموند ارجوك أن تصدقني. انني لم أستطع معرفة مكانك، ولم يكن أحد يعرف أين ذهبت. فان الصليب الأحمر لم يستطع أن يخبرني بمكان وجودك. وذهبت الى معهد الأبحاث الذي كنت تعمل به. وكل ما

استطعت أن أحصل عليه هو عنوان عمك الكبير في هامبشاير. وقد كتبت له على الفور أسأله. أوه يا ادموند لقد حاولت كثيراً. وأرجوك أن تصدقني».

فبدا على وجهه التجهم، وهو يقول:

«بيتر كان يعرف مكاني».

«أعرف ذلك. ولكنه كما أخبرتك من قبل لم يشأ أن يخبرني بمكانك لأنه لا يستطيع أن يخون ثقتك به. وبعد أن تأكد لي أنه يريدني أن أحصل على الطلاق حتى يتمكن من الزواج مني، لم أعد أثق به، وتوقفت عن لقائه ولم أخبره حتى بأنني حامل. هل طلبت منه يا ادموند حقاً ألا يخبرني عن مكانك؟»

فهزّ ادموند رأسه بالنفي ببطء، وقال بصوت حزين:

«لا. انني لم أطلب منه ذلك. كل ما طلبته منه هو أجابتك الى طلبك اذا كنت ترغبين في الحصول على الطلاق».

وبدا الألم واضحاً على وجه ادموند، فترك كتفيها وأخذ يسير في الغرفة جيئة وذهاباً، ثم توقف وظهره الى ديليا وقال:

«لقد طلبت منه أن يكتب اليّ بأي تطور يحدث»

ثم التفت اليها فجأة:

«لو أنني عرفت بأمر الطفل. لو أن أحداً أبلغني بذلك، لعدت لأكون الى جانبك واعتني بك. وربما أمكن انقاذ الطفل من الموت. أهذا ما كنت تقصدينه تلك الليلة عندما كنت تتناولين الحبوب المنومة، وسألتك عما اذا كنت قد أصبت بالمرض حديثاً. فقلت تقريباً أليس هذا صحيحاً؟»

فهزت ديليا رأسها بالايجاب وهي لا تقوى على الحديث فقد كان غضبه عنيفاً، ولم تكن تتوقع ان يصل به الغضب الى هذا الحد عندما يعرف بأمر الطفل الذي فقدته.

ثم تنفس ادموند بعمق، ونظر اليها في لوم وهو يقول:

«قلت لي في تلك الليلة ان المسألة لا تعنيني. كيف تتجرأين على مثل هذا القول

وأنت تعرفين أن الطفل ابني. جزء مني. فلماذا لم تخبريني عندما سألتك؟»

«لم أستطع في ذلك الوقت. كان موقفك مني في اليوم السابق غير مشجع. ولم أكن أريدك أن تظن أنني أستغل هذه المسألة لأحاول استعادتك الى حبي. ولم أكن أعرف أيضاً أنك ستهتم بمسألة الطفل الى هذه الدرجة».

فصاح ادموند قائلاً:

«كيف لا أهتم؟ ماذا تظنينني؟ حجر. انني انسان ولدي مشاعر مثلك تماماً. لقد تجاهلتيني تماماً يا ديليا في مسألة لا تهمك وحدك، بل تهمني أنا أيضاً. انك لم تثقي بي الى الدرجة الكافية لتبلغيني بأمر الطفل».

ثم أضاف بلهجة يشوبها التهكم:

«ربما كان هذا الأمر غير مهم بالنسبة لك. وربما كنت لا تريدين الطفل وترغبين في التخلص منه».

ثم استدار ادموند، واتجه الى الباب، وخرج من الغرفة وأغلق الباب وراءه بعنف.

وبقيت ديليا في فراشها لبعض الوقت تنظر في سقف الغرفة بذهول ودموعها تتساقط على وجهها. وبعد قليل أدركها النوم من جديد ليريحها من عذابها.

ولم تستيقظ الا في الصباح وكانت قد استيقظت على صوت ادموند وهو يغتسل في الحمام. ونظرت حولها فرأت حقيبة ملابسه وضعت فوق فراشه وتناثرت بعض الملابس من حولها وكانت تبدو في حالة غير لائقة. وشعرت ديليا برغبة شديدة في القيام بدور الزوجة. وتمنت لو أخذت ملابس ادموند لتغسلها في النهر. كما رأت النسوة يفعلن في القرية التي ذهبت اليها. وأزاحت الغطاء، ونزلت من الفراش. وكانت لا تزال تشعر ببعض التعب ولكن الدوار كان قد زال.

واتجهت الى فراش ادموند، فجلست على حافته. وبدأت باخراج ملابسه من الحقيبة، وكان معظمها ممزقاً وفي حاجة الى النظافة.

وفجأة سمعت صوت ادموند يقول في غضب:

«يبدو أنني لا أستطيع تركك بمفردك لحظة واحدة، دون أن تفعلي ما لا يجب عليك فعله!»

فنظرت اليه في ضعف، ولكنه أضاف بحدة:

«عودي الى فراشك فوراً. فلست في حالة تسمح لك بالتحرك الآن».

فرفعت اليه وجهها وهي تقول:

«ولكنني أشعر بتحسن. ثم ان ملابسك في حالة يرثى لها».

فنظر اليها في تحد وقال:

«وماذا في ذلك؟»

ثم اندفع ناحيتها وجذب الملابس من يدها بعنف وقذف بها داخل الحقيبة، وهو يقول:

«اتركي ملابسي على حالها. ليس لك شأن بها».

فاعترضت ديليا قائلة:

«ولكنني زوجتك. وبصفتي هذه، فانه يجب عليّ العناية بها وغسلها».

«وأنت بوصفك زوجتي، كان يجب عليك أن ترحبي بعودتي اليك في لندن منذ ستة عشر شهراً. وبوصفك زوجتي أيضاً، كان يجب عليك أن تخبريني بأمر الطفل. والآن، هيا عودي الى فراشك يا سيدة تالبوت».

فصاحت ديليا في استياء قائلة:

«أوه، ليتني لم أخبرك بأمر الطفل. انني لم أقصد أن اسيء اليك انني حقاً آسفة».

فقال ادموند بلهجة تشوبها السخرية:

«انني أتذكر الآن موقفاً مشابهاً حاولت فيه الاعتذار لك، ولكنك لم تستمعي إليّ. والآن عودي فوراً الى فراشك».

فقالت وهي تتجه الى فراشها:

«حسناً. ولكن هذا القميص ليست به أزرار».

«هذا شيء طبيعي بعد تشبثك به عندما كدت تسقطين على الشاطئ»!

واستلقت ديليا على الفراش وهي تشعر بالحزن، وجذبت الغطاء فوقها وأخذت تراقبه وهو يخرج قميصاً من الحقيبة ويرتديه وقالت مستفسرة:

«هل تعرف سبب اصابتي بالمرض؟»

«ربما كان ذلك بسبب تسمم غذائي مصحوب بالدوسنتاريا. او ربما بسبب تناولك طعاماً لم تتمكن معدتك من هضمه. وعلى فكرة، هل تشعرين بالجوع؟»

«لا، ليس بعد».

وتذكرت ديليا وهي تستمع الى لهجته الفاترة، موقفه العنيف منها في تلك الليلة التي قضياها معاً في القرية عندما شاركته الفراش. وأخذت تسائل نفسها في أسى، هل كان ما حدث بينهما مجرد اتصال أملته الغريزة والظروف التي احاطت بهما؟ ألم يكن يعني هذا اللقاء شيئاً بالنسبة لادموند؟ وهل كانت عواطفه نحوها في ذلك الوقت مجرد عواطف أثارها نداء الغريزة وتلاشت بمجرد اشباع رغبته.

وتمنت ديليا وهي تراقبه أن يأتي ليجلس الى جانبها، ويمسك بيدها في حنان ليقبلها. وبدا لها وكأنه يجهز حقيبته استعداداً للسفر، وأخذ يقذف داخلها بجميع حاجياته، وبعد أن انتهى من ذلك، أغلقها واتجه الى الفراش حيث ترقد ديليا وجلس على حافته وأمسك بيدها كما تمنت من قبل، ولكنه لم يقبلها بل كان يريد قياس نبضها. وبعد أن انتهى من ذلك نهض واقفاً وهو يقول كطبيب:

«أنك تبدين في حالة طيبة الآن، ولكن حالتك لن تتحسن تماماً قبل أن تتناولي بعض الطعام. ويمكنك أن تبدأي بتناول أطعمة خفيفة حتى لا يعاودك المرض».

ثم توقف قليلاً، واستطرد يقول:

«في أي حال ستعودين الى ريو دي جانيرو غداً، حيث يمكنك تناول الأطعمة الجيدة».

فجلست في فراشها وقد بدأ شعور بالخوف يزحف الى نفسها، وسألته:

«وأنت. ألن تذهب معي؟»

فأجابها بالنفي وهو يبتعد عنها، ثم أخذ حقيبة ملابسه من فوق الفراش، وأمسك بيده الأخرى حقيبته الطبية، وقال:

«انني سأتجه الى فيتينال بصحبة مانويل. وسينقلنا كارلو بالطائرة الى هناك بعد حوالى خمس دقائق».

فصاحت تسأله:

«ولكن لماذا تعود الى هناك من جديد؟»

«لقد وصلت رسالة الى لويز تقول ان وباء الانفلونزا قد تفشى بين الأهالي بصورة خطيرة. طلب لويز منا التوجه الى هناك للقيام بواجبنا».

فقالت ديليا وهي تغادر الفراش:

«اذاً خذني معك. أرجوك يا ادموند».

ثم وضعت يدها على صدره وهي تتوسل اليه من جديد:

«أرجوك يا ادموند، خذني معك».

فقال بلهجة قاطعة:

«لا. ستعودين في طائرة الامدادات غداً الى ريو دي جانيرو لقد أعدّ كل شيء، وستذهب ريتا معك على نفس الطائرة فهي تريد زيارة أطفالها. وقد دعتك للبقاء معها بضعة أيام ريثما تستردين صحتك تماماً. فأنت في حاجة الى الراحة والطعام الجيد».

«ولكنك أنت أيضاً في حاجة الى الراحة. أليس هناك أطباء غيرك؟ وماذا عن الدكتورة ميريللي. ألا يمكنها هي الذهاب».

«انها ستذهب معنا أيضاً. وهي موجودة هنا، والجميع في انتظاري. أما أنت فانه من الأفضل لك الذهاب مع ريتا».

وشعرت بالغيرة تتأجج في صدرها، وقد عرفت أن زانيتا ستذهب مع ادموند، فقالت في اصرار:

«ولكنني أريد الذهاب معك».

فقال في جفاء وهو يدفعها بعيداً عنه:

«حسناً. أنا لا أريدك معي. والآن عودي الى فراشك».

وترنحت ديليا قليلاً، فألقى بحقيبته على الأرض وأسرع اليها يسندها، وأمسك بذراعيها وهو ينظر اليها قائلاً. فيما يشبه الاعتذار:

«لقد أسأت اليك من جديد. أليس كذلك؟ اسمعي يا ديليا. أنت تعرفين انه يجب عليّ الذهاب، فأنا طبيب ألبي نداء واجبي سواء هنا او في لندن».

«ولكن الأمر يختلف هنا. بامكانك أن تأخذني معك. ولكنك لا تحبني ولم تحبني في يوم من الأيام. أوه. يا ادموند اذا كنت تحبني حقاً، فخذني معك».

فترك ادموند ذراعيها، وقال وهو يبتعد عنها:

«الوقت لا يتسع الآن لمناقشة هذه المسألة. وأنا لا يمكنني المخاطرة بأخذك معي، فأنت ما زلت ضعيفة وسيكون من السهل في حالتك هذه اصابتك بالمرض. وأنا لا أستطيع تحمل هذه المسؤولية، أما بالنسبة لاتهامك لي بأنني لا أحبك، فأنني أقول لك أيضاً. اذا كنت تحبينني حقاً، فيجب أن تتركيني أذهب بدون المزيد من المتاعب».

ثم ضحك وهو يضيف:

«الا تذكرين يا ديليا موقفاً مشابهاً لهذا الموقف. عندما طلبت مني ان أتزوجك».

ثم أخذ ادموند حقيبته، واتجه الى الباب، فتبعته ديليا وهي تسأله:

«متى أراك مرة أخرى؟»

«لا أدري. ربما الأسبوع القادم. سأحاول في أية حال العودة الى ريو دي جانيرو بأسرع ما يمكن».

«عليّ العودة الى لندن يوم الأربعاء القادم فانني مرتبطة بالعمل».

«سأحاول الوصول الى ريو دي جانيرو قبل هذا الموعد، ولكنني لا أعدك

بشيء، فكما تعرفين لا يمكن الجزم بشيء هنا».

وفتح ادموند الباب ليخرج، ونظر اليها وهو يغادر الغرفة نظرة طويلة ثم قال:

«اذا كنت تحبينني فعلاً يا ديليا، فانني سأجدك في انتظاري في ريو دي جانيرو».

واستلقت ديليا في فراشها وهي تستمع في تعاسة الى صوت محركات الطائرة وهي ترتفع في الجو لتبتعد عن القرية ثم سمعت صوت اقدام. وفتح باب الغرفة ببطء، ودخلت ريتا واتجهت الى الفراش، وجلست الى جانب ديليا وقد امتلأت عيناها بالدموع. ونظرت الى ديليا وهي تقول:

«انك تبدين شاحبة الوجه يا ديليا وحزينة، ولكن ألا تبكين وأنت تودعين ادموند؟ انني أبكي بحرقة دائماً عندما يتركني مانويل ويرحل».

فهزت ديليا رأسها وهي تحاول الابتسام، وقالت بصوت حزين:

«طلبت منه أن يأخذني ولكنه رفض. وقال انه لا يريدني معه. وأنا أعرف السبب في ذلك. لأن زانيتا معه».

وتوقفت ريتا عن البكاء فجأة، وهي تقول:

«ما هذا الذي تقولينه يا ديليا؟»

ثم وضعت يدها على جبهتها، وقالت:

«حرارتك ليست مرتفعة، فلماذا تهذين؟»

«انني لا أهذي. ادموند لا يحبني و...»

فقاطعتها ريتا قائلة:

«أنت تقولين هذا بعد قلقه الشديد عليك أثناء مرضك. كان يشعر بتعاسة شديدة لأنه سمح لك بالذهاب الى تلك القرية. وهو لا يريدك أن تذهبي معه اليوم، لأنه يهتم بك الى درجة كبيرة، ويخشى ان تصابي بالمرض وأنت في هذه الحالة من الضعف».

«انه يهتم بأي شخص مريض بنفس هذا القدر. انه لا يحبني ولم يحبني في يوم من الأيام. فهو يحب عمله اكثر مني».

فهزت ريتا رأسها بحزن، وهي تقول:

«انني أفهم تماماً ما تعنين. ولكن مانويل أيضاً يحب عمله، ومن من الرجال لا يحب عمله وخاصة من كان على شاكلة ادموند ومانويل؟ ان الرجال يعتقدون أننا نفهم ذلك ونقدره، فهم يرحلون وما علينا سوى انتظار عودتهم ربما بعد أسبوع أو شهر. أليس كذلك يا ديليا».

«نعم. ولكن...»

فقاطعتها ريتا وهي تضع اصبعها على فمها:

«لن أسمح لك بالحديث حتى نتناول بعض الطعام. فأنت تشعرين بالحزن الآن لأن ادموند رحل وأنت مريضة. ولكنك ستشعرين بالتحسن بعد أن تنالي قسطاً من الراحة. وغداً سنرحل معاً الى ريو دي جانيرو حيث نستمتع بوقتنا بانتظار عودة ادموند ومانويل الينا».

واتجهت ريتا الى الباب، ولكنها توقفت وقد بدا عليها التفكير ثم نظرت الى ديليا وقالت:

«يجب ألا يساورك القلق يا ديليا بشأن زانيتا فهي تفتقر الى كل ما يريده ادموند في المرأة. انها على عكسك تماماً. والآن سأذهب لأحضر لك بعض الطعام».

وعلى الرغم من أن ديليا شعرت ببعض الراحة بعد الذي سمعته من ريتا الا أنها كانت تشعر بالقلق لأن ادموند رحل عنها وهو غاضب بعد أن سمع بأمر فقدها للطفل.

وتذكرت ديليا موقف بيتر وهي تشعر بالأسف لأنها سمحا له بالتدخل بينهما وافساد كل شيء. ولكن القدر أتاح لهما فرصة لقاء أخرى وقضاء شهر عسل جديد، فهل تترك غيرتها من زانيتا تقضي على هذا الأمل الجديد في عودة

ادموند اليها؟ وهل تتيح الفرصة من جديد لشخص آخر بالتدخل بينهما؟.

وصممت ديليا على الاستفادة من دروس الماضي، وألاّ تسمح لما حدث من بيتر أن يتكرر مرة أخرى، فيجب عليها أن تثق بادموند. لقد قال لها وهو يرحل انه سيراها في ريو دي جانيرو اذا هي انتظرت عودته. وهي ستنتظره مهما طالت المدة.

وفي صباح اليوم التالي، وصلت طائرة الامدادات واستقلتها هي وريتا في طريق عودتها الى ريو دي جانيرو.

وحبست ديليا دموعها، كانت تشعر بالحزن لفراق بوستو اورلاندو وأهالي القبيلة الذين عاشت معهم لفترة. ونظرت الى أسفل، فرأت القرية تبتعد عن نظرها لتختفي بعد ذلك، وتنتهي بذلك رحلتها بين الأدغال وهي لا تدري بعد ما اذا كانت قد وفقت فيها.

حقاً، انها التقت بادموند ولكن الوضع بينهما ما زال كما هو. كما انها لم تتأكد بعد من حبه لها. وما عليها الا أن تنتظر من جديد لتتأكد من ذلك. ولكن كيف لها وهي لا تستطيع أن تجزم حتى بعودته بعد موقفه منها حين علم بأمر الطفل.

ووصلت الطائرة في الموعد المحدد لها الى برازيليا، لتستقل ديليا وريتا طائرة كبيرة في طريقهما الى ريو دي جانيرو.

وعندما وصلت الطائرة الى المطار، وجدتا في استقبالهما ماريا مارتينيز شقيقة ريتا واطفالها الثلاثة. وكان لقاء ريتا باطفالها لقاء مؤثراً للغاية. ثم استقل الجميع سيارة ماريا الصغيرة التي انطلقت بهم مسرعة في الطريق المتسع الذي يصل المطار بالمدينة الجميلة، التي بدت بروجها البيضاء الطويلة وهي تطل من بين الجبال الخضراء المرتفعة، كما بدت على البعد مياه المحيط الزمردية.

وعندما اقتربوا من المدينة، كان زحام العربات شديداً حيث كانت تسود بينها فوضى عجيبة. واندفعت ماريا بالسيارة غير مبالية بما حولها من سيارات

بصورة أفزعت ديليا. ولاحظت ريتا انزعاجها، فقالت وهي تبتسم:

«هذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكنك بها السير في طرقات ريو دي جانيرو.»

«انني أشعر بفزع!»

فضحكت ريتا وهي تقول:

«اذاً ماذا يكون شعورك عندما تسيرين في هذه الطرقات في وقت اختناق المرور. هل عندكم في لندن فوضى مرور كما هو الحال هنا؟ وهل تقودون سياراتكم بهذه الطريقة؟»

فردت ديليا بدبلوماسية وهي تحاول ألاّ تظهر انتقادها:

«يمكن القول بأننا أكثر تحكماً في أعصابنا. ولكن لماذا تستخدم سيارات الأوتوبيس هذه الأبواق المزعجة؟»

«لتفسح لها باقي السيارات الطريق. فان سائقي سيارات الأوتوبيس يعتقدون انهم يمتلكون الطريق!».

وأخيراً وصلوا الى المدينة، وسارت السيارة في طريق مستقيم تحيط به المباني العالية. وكانت الأرصفة مزدحمة بالمشاة. ثم وصلوا الى طريق ضيق بجوار ساحل المحيط وتحيط به من الناحية الأخرى ملاعب الغولف الخضراء المترامية.

وهدأت ماريا من سرعة سيارتها وهي تدخل الى ضاحية ظهر فيها عدد من المنازل الكبيرة الفخمة التي تحيط بها الحدائق الواسعة. وأوقفت ماريا السيارة أمام منزل أبيض جميل خلف سيارة كاديلاك.

والتفتت ريتا الى ديليا قائلة:

«هذا هو منزل عائلتي حيث سنبقى بانتظار عودة الرجال من فينيتال. وهو كما ترين كبير ويتسع لعدد من العائلات».

وتبعت ديليا ريتا وأطفالها الى داخل المنزل الذي كان يؤكد كل ركن فيه مدى ثراء أصحابه. وعندما دخلوا الى البهو، وجدوا سيدة بدينة ترتدي ثوباً يجمع بين الأبيض والأسود وقفت في انتظارهم وعلى وجهها ابتسامة مرحة. وقالت

ريتا تقدمها الى ديليا:

«هذه دولفا مديرة المنزل»

وبعد حديث قصير بالبرتغالية مع دولفا أضافت ريتا:

«والديّ ليسا موجودين بالمنزل في الوقت الحاضر، ولكنهما سيعودان في نهاية الأسبوع قبل احتفالات الكرنفال. كم أتمنى أن تبقي معنا لمشاهدة الاستعراضات الجميلة التي تقام بهذه المناسبة. ربما أمكنك ذلك اذا عاد ادموند قبل يوم الاربعاء وبقيتما معنا لفترة»

وصحبت ريتا ديليا الى الغرفة المخصصة للضيوف في الطابق العلوي.

وكانت غرفة جميلة يتوسطها سرير متسع وقد أثثت على الطراز البرتغالي القديم.

وغادرت ريتا الغرفة وهي تقول:

«أرجو أن تستريحي قليلاً ريثما يتم اعداد طعام العشاء»

ودخلت ديليا الى الحمام، وكان فخماً للغاية. وتذكرت وهي تغطس في مياه البانيو المعطرة ادموند. كانت تشعر بالأسف لأنه موجود الآن في الأدغال تتساقط حبات العرق على وجهه. ويتعرض لمضايقات البعوض والحشرات الأخرى.

وبعد أن انتهت من الاستحمام، وضعت ثوباً نظيفاً.

ونظرت الى نفسها في المرآة، فرأت وجهها شاحباً للغاية وبدت عليه آثار المرض.

وكان العشاء يتكون من أصناف راقية للغاية. وبينما كانوا يتناولون الطعام، قالت ريتا وهي تنظر الى ديليا:

«تبدين متعبة ولكنك ستشعرين بالتحسن بعد قضاء بضعة أيام هنا. وما عليك الا الاسترخاء والتمتع بأشعة الشمس. وسآخذك في بعض الجولات في انحاء المدينة، والى قمة الجبل، والى كل مكان يمكن لانسان أن يراه خلال زيارته لريو دي جانيرو. سنحاول باختصار أن نسلي أنفسنا ونقتل الوقت حتى يعود ادموند ومانويل»

ونفّذت ريتا ما وعدت به، فقضت ديليا اوقاتاً ممتعة للغاية في المدينة الجميلة. وبدأت تعود الى حالتها الطبيعية، وأخذ قوامها يمتلىء من جديد.

ومضى أسبوع، وبدأت ديليا تشعر بالتوتر من جديد فقد اقترب موعد عودتها الى لندن، وهي لم تعد تدري ما اذا كان ادموند سيعود قبل هذا الموعد أم لا. ومضى يوم الاثنين ثم الثلاثاء. ثم حل يوم الأربعاء.

وفي الصباح، ذهبت ريتا و ديليا الى المدينة لشراء بعض اللوازم، وتناولتا الغداء في احد المطاعم الكبيرة وسط المدينة ثم عادتا الى المنزل لتنالا قسطاً من الراحة.

وحاولت ديليا الاسترخاء فوق فراشها قليلاً، ولكنها لم تستطع فقد كانت تشعر بالقلق الشديد. فاتجهت الى الشاطىء، حيث انضمت الى أطفال ريتا الذين كانوا يمرحون على رمال الشاطىء. وعادت الى المنزل يراودها بعض الأمل في أن تجد ادموند في انتظارها، ولكنها لم تجد أحداً.

وحل المساء، وجلست ديليا في الصالون الفخم مع أصدقاء ريتا الذين حضروا لزيارتها، وهي تحاول التغلب على القلق واليأس الذي بدأ يتسلل الى نفسها.

وعندما دخلت ديليا الى فراشها في المساء، أخذت تسترجع في ذهنها كلمات أغنية سمعتها تقول: ان أيامي تمضي في حزن وأمل.

وتذكرت أن هذا هو حالها تماماً مع ادموند، فانها تقضي أيامها في حزن لفراقه وأمل في احتمال عودته. ولكن ها هو يوم الأربعاء قدمضى دون أن يعود اليها. لقد تخلفت عن اللحاق بطائرتها في انتظاره، ويجب أن ترسل برقية الى بن ديفيز رئيسها لتبلغه بسبب تأخرها، فقد قررت البقاء في انتظار ادموند.

وكان اليوم التالي حاراً للغاية، فاقترحت ريتا الذهاب لزيارة والديّ مانويل اللذين يقيمان في منزل فوق قمة الجبل فقالت ديليا في قلق:

«ولكن لنفرض أن ادموند و مانويل عادا بينما نحن بالخارج قد يعتقد

ادموند أنني عدت الى لندن».

«ان دولفا ستخبره بمكاننا وبموعد عودتنا. ويمكنها انتظارنا ولو لمرة واحدة في حياتها».

وحاولت ديليا التغلب على قلقها والاستمتاع بقدر الامكان برحلتها وبجمال الطبيعة حولها.

وقضت الاثنتان الليلة مع والدي مانويل، ثم عادت بعد ظهر اليوم التالي. وبعد أن وصلتا الى منزل أسرة ريتا اتجهت ديليا الى غرفتها حيث اغتسلت وارتدت ثوباً ابيض للمساء. وقد راودها الأمل من جديد في احتمال عودة ادموند.

وبينما كانت تهبط الى البهو، سمعت أصواتاً مألوفة لديها تتحدث بالبرتغالية. وتسارعت دقات قلبها، واندفعت الى غرفة الصالون، فاصطدمت في اندفاعها بريتا التي ما أن رأتها حتى صاحت قائلة:

«كنت في طريقي اليك. تعالي يا ديليا وانظري من بالداخل».

ونظرت ديليا، فوجدت مانويل و كارلو يقفان وسط الغرفة ولكنها لم تر ادموند فسقط قلبها بين ضلوعها وسألت بخوف:

«أين ادموند؟»

وما ان رآها كارلو حتى وضع كأسه على المائدة، واندفع يعانقها ويقبلها على الطريقة البرتغالية وهو يقول مازحاً:

«كم كنت اتمنى لو لم تكوني زوجة لهذا الطبيب البارد لأتزوجك أنا. الحقيقة أننا لا نعرف أين ادموند الآن، وكنا نعتقد أنه قد سبقنا الى هنا. فقد تركنا هو وزانيتا صباح الأربعاء ليستقلا الطائرة الى برازيليا ثم الى ريو دي جانيرو وقد كان قلقاً لسبب لاندريه، وكان يريد الوصول الى ريو دي جانيرو قبل المساء. انني لا أستطيع أن أفهم ماذا حدث. وحتى لو أنه لم يتمكن من اللحاق بالطائرة يوم الاربعاء، فكان من المفروض أن يصل الى هنا بالأمس».

والتفتت ديليا الى ريتا تسألها في خوف:

«هل حضر أحد بالأمس اثناء غيابنا؟»

«لقد سألت دولفا فقالت ان أحداً لم يحضر. ولكن سيدة اتصلت بك أمس. فقالت لها دولفا انك ستتغيبين لمدة يومين».

وصاحت ديليا:

«ولكنني لا أعرف سيدة في ريو دي جانيرو غيرك؟»

وقال مانويل:

«ربما تكون المكالمة من مكتب شركة الطيران بشأن حجز التذكرة».

«لو أن هذا صحيح، لتركوا رسالة لديليا».

ثم بدا عليه التفكير للحظة، وسأل:

«هل السيدة التي تحدثت في التليفون كانت تتحدث الانكليزية أم البرتغالية؟»

فقالت ريتا:

«بالطبع تتحدث بالبرتغالية والا ما كانت دولفا فهمت شيئاً».

«وهل لهجتها اجنبية؟»

«وكيف لي أن أعرف؟»

فقال كارلو:

«اسألي دولفا اذا كانت لهجتها اجنبية أم كانت برازيلية من ريو، فلا بد ان تكون زانيتا هي التي اتصلت بديليا».

فنظر الجميع اليه في دهشة يتساءلون:

«زانيتا؟»

فهز رأسه بالايجاب وهو يقول:

«نعم زانيتا، فهذه المرأة واسعة الحيلة. وأنا اقترح أن تتصل بها في منزلها لتتأكد من وجودها. فقد غادرت فينينال مع ادموند. وربما يكون ادموند معها حتى الآن. ثم نظر الى ديليا وهو يقول:

«آسف يا ديليا لأنني أقول ذلك. ولكن لا تخشي شيئاً، فأنا على يقين من أن كل شيء سيكون على ما يرام، ولا بدّ ان هناك سبباً قوياً منع ادموند من الحضور. ويجب أن نتصل بزانيتا لنعرف كل شيء».

فنهضت ريتا واقفة وهي تقول:

«سأذهب للاتصال بها فوراً».

ثم التفتت الى مانويل قائلة:

«أرجو أن تقدم شراباً لديليا، فأنها تبدو شاحبة».

وخرجت ريتا من الغرفة وتبعها كارلو قائلاً:

«من الأفضل أن أذهب معك، فانني أعرف كيف اتعامل مع زانيتا».

وجلست ديليا على أحد المقاعد وهي لا تكاد تعي شيئاً مما يدور حولها.

وكان كل تفكيرها في هذه اللحظة منحصراً في شيء واحد، وهو أن ادموند قد رحل مع زانيتا يوم الاربعاء ولم يحضر حتى الآن، مما يعني انه فضّل الذهاب معها على العودة اليها.

وبعد قليل، عاد كارلو وريتا التي بدا على وجهها القلق، فقفزت ديليا على قدميها وهي تسأل في خوف.

«ماذا حدث؟ هل تحدثت مع زانيتا، وهل وجدتها في المنزل؟»

فتنهدت ديليا وهي تجلس على المقعد، قائلة:

«نعم انها موجودة بالمنزل. ولكنها لا تعرف مكان ادموند لأنها لم تره منذ صباح أمس. ويبدو أنهما لم يتمكنا من اللحاق بالطائرة المتجهة الى ريو دي جانيرو يوم الاربعاء، ووصلا صباح الخميس».

«وهل كانت زانيتا هي التي اتصلت بديليا؟»

فقال كارلو:

«نعم. وقالت انها تطوعت بالاتصال بديليا بناء على رغبة ادموند الذي حاول مرتين الاتصال بها ولم يوفق. وكان يريد معرفة ما اذا كانت موجودة أم

عادت الى لندن».

ثم أضاف كارلو بسخرية:

«وقد أبلغته زانيتا طبعاً بما تريده هي ان يعرفه، وهو أن ديليا قد رحلت».

فقالت ديليا في خوف:

«لا بدّ انه اعتقد أنني عدت الى لندن يوم الاربعاء، وانني لم انتظره».

فقالت ريتا:

«لقد دعته زانيتا للبقاء معها في منزلها، ولكنه رفض. وقالت زانيتا انها لا تعرف عنه شيئاً منذ ذلك الوقت. فأين يمكن أن يذهب؟ وما الذي يمكن أن يفعله؟»

فقال مانويل في بساطة:

«سيحاول في هذه الحالة العودة فوراً الى لندن. وهذا ما كنت أفعله لو أنني مكانه. وقد يكون ادموند وصل الآن بالفعل الى لندن لو كانت هناك طائرة متجهة اليها بالأمس».

فقال كارلو:

«واذا لم يتمكن من اللحاق بها؟»

فقالت ديليا وهي تجول ببصرها بينهم:

«حسناً. وكيف يمكننا التأكد من ذلك؟»

فقال كارلو:

«يجب أن نتصل بجميع شركات الطيران الدولية التي لها خطوط مباشرة او غير مباشرة مع لندن. او ربما من الأفضل الذهاب الى المطار».

ثم التفت الى ريتا متسائلاً:

«هل يمكنني استعمال سيارتك، فسأصحب ديليا معي الى المطار؟»

فنظرت ديليا الى ساعتها، وقالت:

«هناك طائرة من المفروض أن تقلع بعد حوال خمس واربعين دقيقة».

فقال كارلو:

«اذاً هيا بنا، فمن المستحسن أن نسرع الى المطار».

وجلست ديليا الى جانب كارلو في السيارة التي انطلقت بها بسرعة وسط طرقات المدينة المزدحمة في طريقها الى المطار.

والتفتت ديليا الى كارلو تسأله:

«ولكن لماذا تعتقد أن زانيتا فعلت ذلك؟»

«ان النساء عندما يقعن في الحب وتدخل الغيرة الى قلوبهن، فأنهن يتصرفن بطريقة غريبة. وزانيتا تحب ادموند وتشعر بالغيرة منك. وقد أتيحت لها فجأة فرصة للتخلص منك. وكانت تعرف أن ادموند يريد الوصول الى ريو دي جانيرو قبل مغادرتك لها؛ وبهذا اعتقدت انه لو عرف انك غادرت المدينة قبل وصوله ولم تهتمي بانتظاره، فانه سيتركك وبهذا تحقق هدفها وهو التفريق بينكما الى الأبد. لأن ادموند كان قد قال قبل وصولك الى بوستو اورلاندو انه قد يبقى في البرازيل. وقد عرضت عليه زانيتا أن يبقى معها ولكنه رفض. وهذا يثبت لك شيئاً يا ديليا وهو انه لا يحبها».

فتنهدت ديليا وهي تقول:

«أعتقد ذلك».

وكان الزحام شديداً، وعلى الرغم من أن كارلو كان يقود السيارة بسرعة الا انهما وصلا في الوقت الذي كانت الطائرة توشك فيه على الاقلاع. فاندفعت ديليا الى داخل المطار، بينما كان كارلو يبحث عن مكان ليترك فيه السيارة. واتجهت الى مكتب شركة الخطوط البريطانية، وسألت عما اذا كان ادموند على الطائرة ولكن الموظف المختص هز رأسه بالنفي بعد أن نظر في قائمة الركاب الموضوعة أمامه. ونفى أيضاً أنه استقل طائرة الأمس.

واعطاها أسماء شركات أخرى ربما يكون قد سافر على طائراتها ولحق بها كارلو بعد ذلك. وظلا يبحثان معاً حتى اكتشفا في النهاية أن ادموند

استقل الطائرة مساء الخميس متوجهاً الى لندن.

فصاحت ديليا في يأس:

«والآن، ماذا أفعل؟»

فابتسم كارلو وهو يقول مداعباً:

«يمكنك البقاء معي هنا لمشاهدة الكرنفال والاستعراضات، ولكني أعتقد أنه من الأفضل لك أن تسرعي الى لندن على أول طائرة».

٧ ـ كيف يكون الحب

غادرت ديليا مدينة ريو دي جانيرو اليوم التالي، في أول يوم في أيام الكرنفال. كان وداعها لأصدقائها مؤثراً. وفي الطريق الى المطار كانت الشوارع غاصّة بالأهالي الذين خرجوا لمشاهدة الاستعراضات الجميلة. وفي الطائرة حاولت النوم، ولكنّها لم تستطع برغم أنّ الرحلة استغرقت ساعات طويلة.

وأخيراً وصلت الى لندن، وكان الجو بارداً. وجدت مطار هيثرو مزدحماً كالعادة وقد استاءت بشدّة عندما لم تجد أحداً في انتظارها، فاتجهت الى أقرب تليفون وبحثت عن رقم بن ديفيز.

كانت ديليا تعتقد أنها ستجد ادموند في انتظارها، لأنّ بن ديفيز كان يعرف موعد وصولها. ولكن يبدو أن ادموند لم يتصل به، أو أنّ بن ديفيز لم يعثر عليه او ربما ادموند عرف بأمر وصولها، ولكنّه لا يريد لقاءها.

واتصلت بين ديفيز، وسألته إن كانت برقيتها وصلته، فأجابها بالايجاب وسألها:

«ماذا حدث بينك وبين ادموند؟»

«لم يحدث شيء، ولكنّنا فقدنا الاتصال ببعضنا بسبب سوء تفاهم، وأنا لا أعرف أين هو الآن. ألم يتصل بك ليعرف ما اذا عدت أم لا؟»

«لا لم يفعل، ولكنني أعرف انه عاد الى انكلترا. اتصلت بالمنظمة التي يعمل معها بمجرّد وصول برقيتك صباح أمس، وقالوا لي انه زارهم بعد وصوله يوم الجمعة الماضي، وأخبرهم أنه سيقدّم لهم التقرير في أسرع وقت ممكن».

«ألم يخبرهم بمكانه؟»

«نعم. قال إنّ لديه بعض المسائل العائلية، ثم ترك لهم عنواناً. انتظري لحظة لأبحث عنه».

وبعد فترة قصيرة، قال بن ديفيز:

«هذا هو العنوان. انه شانس كورت، هامبشاير. هل يعني ذلك شيئاً بالنسبة إليك؟»

«نعم، فانّ عمّه الكبير يقيم هناك. سأذهب على الفور».

«انتظري لحظة يا فتاتي، هل تعرفين الطريق الى هناك؟»

«سأحاول أن أجد طريقي، وربما أستقّل القطار الى وينشستر ثم سيارة اوتوبيس بعد ذلك».

«سيكون صعباً للغاية خاصة في مثل هذا الجو. إنني أفضل ذهابك بالسيارة. لماذا لا تنتظرين حيث أنت فأمر بك بسيارتي، لأصحبك الى منزلي حيث نتناول العشاء معاً. ويمكنك بعد ذلك اقتراض سيارة زوجتي للذهاب إلى هامبشاير. ولكن يجب أن تتصلي بادموند أولاً لتعرفي ما اذا كان هناك أم لا».

وافقت ديليا على هذا العرض، لأنها في حاجة الى بعض الراحة. وجلست في المقهى تتناول فنجان قهوة في انتظار بن ديفيز الذي وصل بعد أقلّ من ساعة.

وصحبته الى الموقف حيث استقلّت معه سيارته.

وفي الطريق قال لها بن ديفيز:

«لقد وجدت خريطة لشانس كورت قبل أن احضر اليك، وعرفت منها أقصر الطرق للوصول الى المنطقة».

ونظرت ديليا من نافذة السيارة الى الطريق. كان الجو ممطراً وتساقطت

أوراق الأشجار وبدا الطريق معتماً».

وأخذت تتعجب من الاختلاف الكبير بين لندن و بوستو اورلاندو و بينوروس، وهي لا تصدّق أن هذه القرى تنتمي الى نفس العالم الذي تنتمي اليه لندن.

وقال بن ديفيز:

«إنّ شانس كورت من المنازل الكبيرة الهامة في انكلترا، ويحيط به حديقة غناء تفتح أمام الجمهور في اوقات الصيف. كما أنّ بعض غرف المنزل تفتح امام الجمهور أيضاً. هل تعرفين ذلك؟»

«لا، فإنّ ادموند لم يحدّثني عنه أبداً».

«انه شاب عجيب. لا يمكنك أن تعرفي منه شيئاً. ولكن كيف كان الحال بينكما في الأدغال؟»

«كان كل شيء يمضي بيننا على ما يرام، الى أن عرف بأمر الطفل».

«هل حزن كثيراً لفقده؟»

فقالت ديليا كأنها تحدّث نفسها:

«استاء جداً لذلك».

وعندما وصلا الى المنزل، كانت أودري زوجة بن ديفيز في انتظارها عند الباب. وما أن رأت ديليا حتى صاحت قائلة:

«أوه، انّ لون بشرتك رائع. إنني على يقين من أنك كنت تودّين البقاء في البرازيل. كان الجو هنا فظيعاً».

ثم اضافت وهم يدخلون الى المنزل:

«هل تريدين كأساً من الشراب قبل الطعام؟»

وعلى مائدة العشاء، كان الطعام رائعاً كالمعتاد. وأكلت ديليا كثيراً، كانت تشعر بالجوع. وبعد الانتهاء من الطعام، بحثت ديليا في الدليل عن رقم تليفون شانس كورت، وعندما اتصلت ردّ عليها رجل قال لها عندما سألته عن ادموند إنه موجود في شانس كورت، ولكنه ليس بالمنزل في الوقت الحاضر. وسألها إن كانت تريد ان تترك له رسالة فقالت له:

«أرجوك أن تخبره فقط بأنّ ديليا اتصلت به».

وضعت سماعة التليفون. والتفتت الى بن ديفيز والسعادة تطلّ من عينيها وهي تقول:

«لقد وجدته هناك بالفعل».

فقال بن ديفيز:

«حسناً، إنّ المكان ليس بعيداً، ولكنّ المسافة قد تستغرق منك حوالى ساعتين ونصف الساعة. ويستحسن أن تبدأي الآن حتى يمكنك الوصول الى هناك قبل حلول الظلام».

واستقلّت ديليا عربة أودري الصغيرة. وقبل أن تمضي في طريقها، قال بن ديفيز وهو يودّعها:

«يمكنك العودة الى هنا اذا لم تتمكني من المبيت هناك، وأرجو ألاّ تسرعي فانّ الطريق خطر بسبب الأمطار».

وعلى الرّغم من هذا التحذير، فقد انطلقت ديليا بالسيارة بأقصى سرعة لها، وكان الطريق يكاد يكون خالياً بسبب سوء الأحوال الجوية. وبعد حوالى ساعة وصلت الى مفترق طرق، فاتجهت الى الطريق المؤدّي الى ستورتون وكان طريقاً ضيّقاً يخترق الجبال ثم يعود ليخترق الوديان، ومرت بعدد من القرى الصغيرة. استمرّت ديليا تسير لعدّة أميال، وأخيراً وصلت الى ستورتون،

وكانت تشعر بارهاق شديد، فوضعت سيارتها في الموقف، واتجهت الى أحد الفنادق الصغيرة حيث تناولت قدحاً من الشاي، وقالت لها الخادمة عندما سألتها عن شانس كورت أنها لا تبعد سوى خمسة عشر ميلاً.

استقلّت ديليا السيارة، ومضت في طريقها من جديد حيث وصلت بعد عشرة أميال إلى إحدى القرى الصغيرة.

واتجهت بعد ذلك الى اليسار حسب تعليمات الخادمة، فرأت لافتة مكتوباً عليها: شانس كورت. فشعرت ديليا بالسعادة فقد أوشكت على الوصول.

وما أن اتجهت الى الطريق الموصل الى شانس كورت حتى ازدادت حدّة الأمطار حتى أنها لم تكن تتبين الطريق.

وأضاءت مصابيح السيارة، ولكنها وجدت بعد فترة أنها الطريق الخطأ فعادت بالسيارة الى الوراء ولم تنتبه الى وجود حفرة في الخلف. نزلت بها إحدى عجلات السيارة الخلفية.

وحاولت ديليا الخروج بالسيارة من الحفرة، ولكنها لم تتمكّن فقررت أن تتركها في مكانها وتسير ما تبقّى من الطريق الى شانس كورت.

ووضعت الوشاح فوق رأسها لحمايته من المطر. ونزلت من السيارة وأغلقت أبوابها باحكام. ثم عادت الى الطريق الذي كان من المفروض أن تسلكه، فوجدت لافتة كتب عليها شانس كورت.

وسارت ديليا وهي تحاول أن تحتمي من المطر الى جوار جدار حجري، وبينما هي تسير تحت المطر، سمعت صوت سيارة قادمة من خلفها، وتوقفت ديليا، ولكن السيارة مرّت بها بدون توقف وتطايرت المياه لتغرق ديليا.

ثم توقفت السيارة فجأة، وبدأت في الرجوع الى الخلف، وتوقفت بجانب ديليا، وسمعت صوتاً عرفته على الفور يقول:

«هل تريدين الذهاب الى كورت؟ هل تسمحين لي بتوصيلك الى هناك؟»

وتسارعت دقّات قلبها، فقد كان صوت ادموند الذي لا يمكن أبداً أن تخطئه، ونظرت الى سائق السيارة، فرأته ينظر اليها بعينيه الزرقاوين. انه ادموند فقفز قلبها من فرط فرحتها وهي تقول:

«نعم يا ادموند، من فضلك أريدك أن توصلني، فأنني ذاهبة الى كورت لرؤيتك».

وأخذ ادموند ينظر كأنه لا يصدّق عينيه، فقالت ديليا:

«نعم يا ادموند، إنها أنا ديليا فعلاً. أوه يا ادموند افتح الباب، ودعني أدخل الى السيارة، فأنني لا أقوى على الوقوف في هذا المطر».

وانحنى ادموند وفتح باب السيارة، ودخلت ديليا لتجلس الى جانبه، وشعرت بالدفء، فخلعت الوشاح من فوق رأسها والتفتت اليه وهي تبتسم. فقال لها وهو ما زال في دهشته وقد استند بأحد مرفقيه على عجلة القيادة:

«كيف جئت الى هنا؟»

«بالسيارة، ولكنها تعطلت معي بالطريق».

ونظرت اليه ديليا، وكان مختلفاً تماماً عن المرّة الأخيرة التي رأته فيها، يرتدي ملابس فاخرة وقد قصّ شعره وحلق ذقنه، فبدا مختلفاً.

ومدّ يده فأغلق راديو السيارة، ثم نظر اليها من جديد وبدا عليه وكأنه تغلّب على ردّة الفعل الأولى التي أحدثتها المفاجأة، ونظر اليها في برود وهو يقول:

«لا أريد أن أبدو فضولياً، ولكن هل يمكنك أن تخبريني أين كنت منذ غادرت بوستو أورلاندو؟»

«ذهبت مع ريتا الى ريو دي جانيرو كما كان متفقاً عليه، وبقيت معها في منزل أسرتها».

«ولكنك لم تكوني موجودة هناك يوم الخميس الماضي».

ثم بدأ ادموند في التحرك بالسيارة من جديد وبدأت تشعر بالعصبية، فان اللقاء بينهما لم يكن كما توقعته، ادموند لا يبدو سعيداً بلقائها

وقالت ترد على سؤاله:

«كنت مع ريتا في بيتروبوليس».

«وأين تكون بيتروبوليس؟»

«على التلال بالقرب من ريو دي جانيرو».

«ولكنك غادرت ريو دي جانيرو يوم الاربعاء الماضي».

فقالت توضح له الأمر:

«لا. انني لم أفعل ذلك، انتظرت عودتك ولكنك لم تعد».

فسألها بجفاء:

«ألم يكن باستطاعتك البقاء لفترة أطول؟»

«لقد كان الجو حاراً، واقترحت ريتا الذهاب لزيارة والدي مانويل. انك لا يمكن أن تتخيل قسوة الانتظار والقلق من ألا يعود الشخص الذي تحبه».

ثم توقفت للحظة لتلتقط أنفاسها، وأضافت:

«لقد تركنا لك رسالة مع مديرة المنزل تخبرك فيها أنت ومانويل بأننا سنعود، ويجب أن تنتظرانا».

وصمت ادموند قليلاً. وكانت السيارة قد وصلت الى بوابة كبيرة دخلت منها ببطء لتجد ديليا أمامها منزلاً فخماً يرتفع فوق احد التلال التي تطل على السهول المترامية.

وصاحت ديليا قائلة:

«ما أجمل هذا المكان».

ولم يرد ادموند على تعليقها. واستمر في قيادة السيارة حتى وصل الى فناء متسع ودخل بها الى الكاراج الموجود به. وبعد أن أوقف السيارة، التفت اليها في نظرة قاسية وقال:

«والآن. وقد وصلنا. من الأفضل أن تدخلي معي الى المنزل لتوضحي لي بعض الأمور».

فشكرته ديليا، وفتحت باب السيارة ونزلت منها مسرعة. كانت تشعر أنها على وشك البكاء. وسارا معاً حتى وصلا الى باب المنزل الأمامي الذي فتح، ورأت ديليا رجلاً طويلاً رمادي الشعر يرتدي بذة سوداء، وقميصاً أبيضاً. وما أن رأى ادموند ، حتى ابتدره بالتحية وهو يقول:

«مساء الخير يا سيدي».

ثم وجه الى ديليا نظرة تنطوي على الفضول.

فقال ادموند:

«مساء الخير يا جانوس».

ثم أمسك ديليا من ذراعها وصحبها الى داخل البهو الفخم. وقال جان:

«لقد اتصلت بك سيدة شابة يا دكتور تالبوت، ولكنها لم تترك رسالة كل ما قالته أن أخبرك بأن ديليا اتصلت بك».

فقال ادموند:

«هذه هي ديليا زوجتي»

ثم قال موجهاً حديثه الى ديليا:

«وهذا جانوس رئيس الخدم هنا يا ديليا. وقد مضى عليه هنا ثلاثون عاماً»

فقال جانوس:

«انني سعيد بلقائك يا سيدتي. هل تسمحين لي بمعطفك؟»

فسلّمته ديليا المعطف وهي تشكره. فسألها ان كانت تريد بعض الشاي فأجابته بالايجاب وهي تشكره، فعاد يسألها من جديد عما اذا كانت تريد تناول الشاي في الصالون. فأجابت ديليا وقد شعرت بالضيق للهجته الباردة:

«هل. هل يكون هذا مناسباً؟»

فقال ادموند في غضب:

«لا لن يكون مناسباً. انني أفضل أن تتناول الشاي في غرفة الجلوس. هل تركت المدفأة موقدة كما طلبت منك يا جانوس؟ أوف. ان هذه الغرفة فظيعة».

وظهر الاستياء على وجه جانوس وانحنى لديليا ثم غادر البهو.

فهمست ديليا لادموند قائلة:

«أعتقد أنك قد آذيت شعوره».

«انني لا أهتم بذلك. فانني لا أعجبه ولم أعجبه في يوم من الأيام، فهو يعتقد أنني لا أتصرف بالطريقة التي تليق بسليل عائلة شانس تعالي لندخل الى هذه الغرفة ونجلس بجوار المدفأة. لا بدّ أنك تشعرين بالبرد».

وتبعته ديليا الى داخل غرفة متسعة تتوسطها مائدة بيضاوية الشكل. وسحب ادموند مقعداً مريحاً وقربه من المدفأة وطلب منها أن تجلس، ثم أخذ يدفىء يديه فوق نار المدفأة. وسألته ديليا:

«هل أنت حقاً من سلالة عائلة شانس»

«نعم، فان جدتي الكبيرة كانت من عائلة شانس وقد توفي والدها بعد أن ترك لها هذا المكان، وتزوجت جدتي من مورتمور تالبوت صاحب مصانع الحلوى لأنه كان ثرياً ولأنها كانت في حاجة الى المال، فان والدها لم يترك لها سوى هذا المنزل. وساعدتها أمواله للحفاظ على هذا المكان.

ولما ماتت تركت المنزل لابنها الأصغر جوستن. كان الوحيد الذي يهتم بهذا

المكان. وما لم اتخذ اجراء سريعاً، فانه سيتركه لي لأنني وريثه الوحيد».

ثم ابتسم في سخرية وهو يضيف:

«أليس هذا عجيباً. فأنا الذي لا أهتم بشيء في هذه الدنيا، أرث هذا المنزل؟»

فسألته ديليا:

«أليس عنده أبناء أو احفاد؟»

«لا، فانه لم يتزوج. ولكنه كان يظهر تعلقه بي عندما كنت أزوره مع والدي وأنا طفل صغير».

وأخذ ادموند ينظر في النيران التي تتأجج في المدفأة وبدا على وجهه الحزن وهو يقول:

«مسكين العم جوستون. انه بالمستشفى الآن حيث كنت أزوره بعد ظهر اليوم. ولا أعتقد أنه سيمكنه التغلب على الأزمة التي هاجمته. ولقد عرفت بأمر مرضه عندما ذهبت الى مقر المنظمة التي اعمل معها بعد عودتي الى لندن يوم الجمعة الماضي».

وأعربت ديليا عن أسفها لمرض العم جوستون، وتقدّمت بدورها الى جوار نيران المدفأة. وجذب ادموند مقعداً صغيراً جلس عليه بجانب المدفأة. وسأل ديلياة

«ولكن كيف عرفت أنني هنا؟»

«عرفت من بن ديفيز لقد اتصل بالمنظمة بعد أن تلقى برقية مني بموعد عودتي. وقد عرف منهم عنوان شانس كورت. ولكنني أريد أن أعرف يا ادموند لماذا طلبت من زانيتا ان تتصل بي في ريو دي جانيرو؟ ولماذا لم تفعل ذلك بنفسك؟»

ونظر اليها ادموند في حدة، ثم قال:

«لقد فعلت ذلك. فقد تحدثت الى مديرة المنزل في بيت أسرة ريتا مرتين. كل ما أستطيع أن أقوله أنني لم أستطع أن أفهم حديثها جيداً وفي النهاية تطوعت زانيتا بالاتصال بها نيابة عني. ولكل ما قالته لزانيتا أنك رحلت، وأن ريتا ليست بالمنزل هي الأخرى، فاعتقدت أنك».

ثم توقف ادموند عن الحديث فجأة، ووضع يده على وجهه وهو يمهمهم قائلاً:

«يا إلهي. لا أعرف ماذا ظننت في ذلك الوقت. حاولت كل جهدي لأصل الى ريو دي جانيرو قبل موعد مغادرتك لها، ولكن صادفني الكثير من المتاعب في الطريق. ثم بعد كل ذلك أعرف أنك قد رحلت ولم تنتظريني. لقد تأكد لي في تلك اللحظة ما كنت أتوقعه».

«تعني أنك لم تتوقع مني أن أنتظرك؟»

«كان يراودني الأمل في أن أجدك في انتظاري، ولكنني لم أكن أتوقع ذلك وسرح بنظره من جديد الى النار ثم قال:

«عندما سمعت أنك رحلت. سرت وحدي وتركت زانيتا واقفة».

ثم ضحك وهو يضيف:

«لا أدري ماذا اعتقدت. هذا لا يهم الآن. ولكن الذي لا أفهمه هو لماذا لم تخبر مديرة المنزل زانيتا بالرسالة التي تركتها أنت وريتا لي أنا ومانويل».

«كانت على وشك أن تفعل ذلك، ولكن زانيتا اكتفت بسماع كلمة أنني رحلت، ولم تستمع الى باقي الحديث».

وتساءل ادموند في دهشة:

«ولكن لماذا. لماذا تفعل ذلك؟»

وقبل أن تتمكن ديليا من الاجابة، عاد جوناس وقد تبعته سيدة طويلة

القامة وتحمل صينية من الفضة وضعت عليها أقداح الشاي وبعض الأطعمة.

ووضعت السيدة الصينية فوق المائدة، ووقفت تنظر في فضول الى ديليا. فنهض ادموند على قدميه وقدمها لديليا قائلاً:

«هذه هي السيدة فيل مديرة المنزل».

ثم أشار الى ديليا قائلاً:

«سيدة فيل. أريد أن أقدم لك زوجتي».

فرحّبت السيدة بها وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة عريضة وقالت:

«لقد أحضرت لكما بعض الفطائر الخفيفة وكعكة الفواكه، فلا بد أنكما تشعران بالجوع. هل تريد أن توقد المدفأة في غرفة النوم يا دكتور تالبوت؟»

فسأل ادموند في دهشة:

«وهل هذا ممكن؟»

«بالطبع».

«اذاً. فانني ارجو ان تفعلي ذلك».

ثم التفت الى جانوس قائلاً:

«أما أنت يا جانوس، فأرجو العمل على اخراج سيارة السيدة تالبوت من الحفرة التي وقعت بها واحضارها الى هنا. ما نوع السيارة يا ديليا؟»

«انها أوستن صفراء اللون. وهي ليست بعيدة عن هنا. وها هي المفاتيح».

فأخذ جانوس المفاتيح منها، وهو يقول:

«شكراً يا سيدتي. هل هناك خدمة أخرى؟»

فرد ادموند في برود:

«لا. ما عدا أنني والسيدة تالبوت نريد أن نتناول الشاي بدون اي ازعاج هل هذا واضح؟»

«نعم يا سيدي».

وخرج جانوس والسيدة فيل، وأغلقا الباب وراءها، فاتجهت ديليا الى المائدة لتصب الشاي في الأقداح وقالت وهي تناول أحدها لادموند:

«اذاً فان جانوس يعتقد أنك لا تعرف كيف تتصرف كسليل لعائلة شانس. مع أنني أعتقد أنك تقوم بدورك باتقان كأي لورد».

«لو أنني لم أفعل ذلك. فان جانوس سيصبح هو الآمر في هذا المنزل كما كان يفعل مع العم جوستون من قبل. كما أنه فضولي للغاية ويريد أن يعرف كل شيء. وأنا متأكد من أنه سيعود الى الغرفة مرة أخرى بعد أن ينتحل أي عذر ليستمع الى ما نقول. ثم تنهّد في عمق وهو يقول:

«لا أدري ماذا أفعل بمثل هذا المكان في حالة وفاة العم جوستون فانه سيؤول اليّ بوصفي وريثه الوحيد ولكنني لا أريده».

«يمكنك أن تقيم فيه. او على الأقل في جزء منه كما كان يفعل العم جوستون».

«تخيّلي أنني أعيش في مثل هذا المنزل. انه كبير جداً حتى لي».

وتوقف ادموند عن الكلام فجأة. وبدأ في تناول بعض الساندويتشات فقالت ديليا تستحثه على الحديث:

«حتى لو. ماذا يا ادموند؟»

«لا تهتمي بما قلت. ولكن لماذا تعتقدين يا ديليا أن زانيتا وضعت سماعة التليفون قبل أن تستمع الى بقية حديث مديرة منزل ريتا؟»

«قالت زانيتا لريتا عندما سألتها عن ذلك انها أعتقدت أن هذا هو كل ما في الأمر. ولكن كارلو يعتقد أنها تعمدت أن تفعل ذلك».

«كارلو. اذاً لقد ذهب هو ايضاً الى ريو دي جانيرو ألم يوضح لماذا يعتقد ذلك».

«نعم. قال ان زانيتا تشعر بالغيرة مني كما كان يشعر بيتر بالغيرة منك. ولهذا ارادت أن تفرّق بيننا وكانت تعرف انك تريد العودة سريعاً الى ريو دي جانيرو لتلحق بي، فأرادت أن تقنعك بأنني لم أهتم بانتظارك، وأنني رحلت، لتدفعك على البقاء معها هي في البرازيل، وبهذا تفرّق بيننا الى الأبد».

وتوقفت ديليا عن الحديث، ولما لم يعلّق ادموند بشيء، سألته:

«هل تريد المزيد من الشطائر؟»

فسرح ادموند ببصره بعيداً وهو يردّد كلامها:

«بعض الشطائر، أوه نعم».

ثم اتجه الى المائدة، ووضع بعض الشطائر في صحنه، ثم عاد ليجلس الى جانبها من جديد. وأخذ يهز رأسه كمن لا يصدق، ثم قال:

«لا أدري كيف اعتقدت زانيتا انني مهتم بها. فلم افكر فيها ابداً كامرأة. واهتمامي بها كان بسبب كونها طبيبة ليس الا».

«قالت لي انها تطوعت للعمل في هذه المناطق لتكون بالقرب منك فقط بعد أن اعجبت بك، وانها أنقذت حياتك».

«هي قالت لك ذلك؟ ما هذا الهراء؟ انها لم تفعل لي شيئاً سوى انها كانت تقيس حرارتي كل بضع دقائق. لقد كانت مصدر مضايقة لي اثناء مرضي. وكنت أطلب منها دائماً أن تتركني لحالي. كم كنت غبياً لأنني صدقتها عندما قالت لي انك رحلت».

فقالت ديليا في تعاسة:

«لقد كررت ما حدث مع بيتر، صدقت كلامه أيضاً. ولكن أين ذهبت بعد أن تركت زانيتا؟»

«لقد أخذت أسير على غير هدى، ثم اتجهت الى المطار لأحجز تذكرة على الطائرة

المتجهة الى لندن. وكان حظي سعيداً. وعندما عدت الى لندن، اتجهت فوراً الى منزلنا. حيث اكتشفت أنك لم تعودي اليه لأنه كان واضحاً أن قدماً لم تطأه منذ مدة. فاتجهت الى مقر المنظمة، وعدت من جديد الى المنزل على أمل لقائك ولكنني لم اجدك أيضاً فطلبت بن ديفيز في مكتبه ولكن الوقت كان متأخراً فلم اجد أحداً. ولما لم اكن أعرف عنوانه، اتجهت الى شانس كورت».

ثم توقف ادموند عن الحديث، واتجه ليضع صحنه الفارغ. وسألته ديليا في دلال:

«ولكن لماذا كنت تريد رؤيتي؟»

فأجابها ادموند في برود:

«لأنني كنت أريد أن أعرف لماذا لم تنتظريني؟»

فانفجرت ديليا تبكي وهي تقول:

«أوه، يا ادموند لو أنك كنت تثق بي، لما حدث أي شيء من هذا. لو انك اتجهت الى منزل ريتا في ريو دي جانيرو بدلاً من أن تتجه الى المطار، لعرفت انني في انتظارك ولكنك كنت تثق بزانيتا أكثر مما تثق بي. وكنت تثق ببيتر أيضاً أكثر من ثقتك بي».

وتوقفت قليلاً قبل أن تستجمع شجاعتها لتقول:

«لا أعتقد أنك تحبني. لأنك لو كنت تحبني حقاً لوثقت بي. اوه يا ادموند لا تنظر اليّ بهذه الطريقة. ماذا تنوي أن تفعل؟»

وكان ادموند قد مدّ يديه وأمسك بعنقها بقوة وهو ينظر اليها في غضب شديد. ثم قال:

«من حقك أن تخافي يا عزيزتي. فانني على وشك أن أحطم عنقك»

«لماذا؟ وماذا فعلت الآن؟»

«فعلت ما تعودت ان تفعليه دائماً، وهو اتهامي بأنني لا أحبك».

ثم أضاف وقد خفّف من قبضته حول عنقها، وأخذ يتحسس وجهها في حنان:

«تزوجتك لأنني أحببتك. رحلت عنك لأنني أيضاً أحبك ولأنني لم أستطع أن أتحمّل فكرة كونك تعيسة بسبب زواجك مني. وأردت أن أمنحك فرصة الحصول على الطلاق. ورحلت بعيداً جداً على أمل النسيان. وكنت أعتقد أنني نجحت في ذلك. ولكنك لحقت بي في بوستو أورلاندو وفي بداية الأمر حاولت التماسك. ولكن حبي لك استيقظ من جديد، وبدأت أشعر أنني مجنون بحبك».

وتوقف ادموند عن الحديث، حين دخل جانوس الى الغرفة وهو يسعل لتنبيههما الى وجوده، فزفر ادموند في غيظ وهو يقول:

«أعتقد أنني طلبت منك يا جانوس الا يزعجنا أحد. ماذا تريد الآن؟»

«لقد أحضر سائق السيد جوستون سيارة السيدة تالبوت وهي موجودة الآن في الكاراج».

وعندما شكرته ديليا، لمحت شبح ابتسامة على شفتيه وهو يسألها ان كانت تريد خدمة أخرى.

فقال ادموند في ضيق:

«لا. شكراً يا جانوس. وأرجو ألاّ تعود مرة أخرى لازعاجنا».

وخرج جانوس بعد أن حمل الصينية معه، وترك باب الغرفة موارباً. وانتظر ادموند الى أن ابتعد صوت خطواته، فنظر الى ديليا من جديد، ورأى عنقها، وقد بدت عليه آثار أصابعه، وقال:

«يا إلهي. لقد آذيتك مرة أخرى. ولكنني أحبك ولا أحب أحداً غيرك. ولذلك تركت فينيتال قبل الموعد المقرر لألحق بك في ريو دي جانيرو قبل رحيلك. ولهذا أيضاً تبعتك كما كنت أعتقد، الى لندن بأسرع ما يمكن. ولهذا أيضاً لا أريدك

أن تعيشي معي في الأدغال حتى لا تصابي بأي مرض خطير. انني أحبك يا ديليا، وحبك يسري في دمي ولا أستطيع التخلص منه».

ثم وضع يده فوق جبهته وهو يعترف:

«عشت في نار من القلق خلال الأيام الماضية وأنا لا أعرف مكانك. كنت أعتقد بأني فقدتك مرة أخرى، ولأنني أحبك فإنني أصاب بالجنون عندما أراك مع رجل آخر. يا إلهي. ماذا تريدين مني أن أقول أكثر من ذلك يا ديليا لأقنعك بحبي». فقالت ديليا وهي تضحك من بين دموعها:

«لا شيء، لا شيء يا ادموند، فانني مقتنعة بأنك تحبني. أوه يا ادموند انني ايضاً أحبك، ولهذا أريد ان أكون معك في اي مكان تذهب اليه. أرجوك يا ادموند هل أستطيع قضاء الليلة معك هنا؟»

فهمس ادموند قائلاً وهو يمسك بوجهها بين يديه:

«وهل تعتقدين غير ذلك يا ديليا؟ هل نستطيع أن نبدأ حياتنا من جديد؟»

فهمست تقول:

«أعتقد أننا قد بدأنا بالفعل. في لقائنا في الأدغال».

فضحك وانحنى يعانقها، وهو يقول:

«تعنين خلال شهر العسل الثاني؟»

والتقت الشفاه، وأحاطها ادموند بذراعيه. ولكنهما انتبها فجأة الى صوت جانوس من جديد، فابتعد ادموند وهو يسأل جانوس في غضب:

«ماذا تريد الآن؟»

«اننا. أعني أنا وبرايس نتساءل عما اذا كانت السيدة تالبوت تريد استخدام سيارتها الليلة. حتى نضعها في الكاراج مع سيارتك. لأن الليلة باردة للغاية والمطر ينهمر في غزارة».

دفع اليه ادموند بمفاتيح السيارة وهو يقول:

«السيدة تالبوت ستقضي الليلة هنا، وستظل معي في المنزل طوال فترة اقامتي. هل هناك شيء آخر يا جانوس؟»

«لا. شكراً يا سيدي».

«اذاً تصبح على خير».

«تصبح على خير يا سيدي».

وخرج جانوس، فأمسك ادموند بيد ديليا وجذبها الى البهو فسألته ديليا:

«الى أين تذهب؟»

«الى غرفة النوم. فأنها المكان الوحيد الذي يمكن أن نتحدث فيه معاً دون أي ازعاج. على الأقل يمكننا ان نوصد الباب من الداخل».

ودخلا الى غرفة النوم. وكانت متسعة وأنيقة للغاية وصاحت ديليا قائلة:

«يا له من فراش رائع وكبير».

فرد ادموند:

«انه يتسع لستة أشخاص. وهو يختلف الى حد ما عن الفراش المعلق في الكوخ وأصوات الطبول تدوي في الخارج».

وقالت ديليا:

«لم أحضر معي رداء للنوم».

فقال ادموند:

«وأنا أيضاً، فان الوقت لم يسمح لي بشراء الكثير من الملابس. المهم هو أن تخلعي ملابسك وتندسي في الفراش بأسرع ما يمكن حتى لا تشعري بالبرد. سأفعل أنا ذلك أولاً وأسبقك الى الفراش لأدفئه لك».

وعلى الفراش الوثير، استلقت ديليا بين ذراعي زوجها وهي تشعر بالسعادة وهمس ادموند قائلاً:

«لا أكاد أصدق أننا التقينا من جديد».

فسألته ديليا:

«كم من الوقت ستقضيه هنا في شانس كورت؟»

«لا أدري، هذا يتوقف على ما يحدث للعم جوستون. دعينا الآن من هذا الحديث. فان لدينا ما هو أهم من ذلك. هناك شيء واحد أريد أن أعرفه يا ديليا قبل أن تبدأ من جديد، وهو هل تريدين طفلاً آخر؟»

«هل تريد أنت ذلك؟ واذا حدث وكان لنا طفل، فهل تغفر لي فقداني للطفل الأول؟»

فدفن ادموند وجهه في صدرها وهو يقول:

«ليس هناك ما أغفره لك. انني لم أغضب لفقد الطفل، ولكن لأنني لم أعلم بذلك في وقته فقد تحملت الكثير بمفردك ولم اكن بجانبك. ولن أدعك تمرين بهذه التجربة من جديد وحدك».

«ولكن لنفرض أنك عدت من جديد الى يوستو أورلاندو».

«انني لم أقرر ذلك بعد. واذا حدث أي حمل، فانني لن ابتعد عنك بأي حال من الأحوال الى أن تضعي الطفل، والآن كفانا حديثاً».

وضمها ادموند اليه في قوة. وشعرت ديليا بأن زوجها قد عاد من جديد. ادموند الرقيق الحنون الذي أحبته دائماً.

همست قائلة:

«آه. يا ادموند كم أحبك».

«على الرغم من أنني قد أسأت اليك. وربما أفعل ذلك مرة أخرى».

«لقد أسأت اليك أنا أيضاً. في أية حال، كانت تجربة علمتنا كيف يكون الحب».

وسادت غرفة النوم ظلال المدفأة وهي تخبو شيئاً فشيئاً.